حركة الترجمة والتعريب في

ديوان الإنشاء المملوكي

(البواعث واللغات والمترجمات)

أ. د. سمير الدروبي
قسم اللغة العربية- جامعة مؤتة

ممـــا لاشك فيه أن دولة كبرى كدولة المماليك التي ورثت مملكة الأيوبيين وامتد حكمها قرابة ثلاثمئة سنة (٦٨٤-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، وسيطرت علـــى رقعـــة واسعة من الأرض شملت مصر والشام وشمال العراق والأجزاء الجنوبية من بلاد الأناضول (تركيا في الوقت الحاضر) والجزيرة العربية، وبرقة وبـــلاد النوبة، كانت حركة الترجمة والتعريب ضرورة ملحة لديها، بل هي من مســـتلزمات بقائها، وتنظيم علاقاتها مع جيرانها والقوى العالمية آنذاك، وخاصة إذا علمـــنا أن هذه الدولة الفتية قامت في مصر في ظروف دقيقة جداً تجلت في الـــزحف المغولـــي المخرّب الذي اجتاح مشرق العالم الإسلامي، وتهاوت أمامه الـــدول الإسلامية تباعاً من جانب، وفي الوجود الصليبي في الساحل الشامي من جانب آخر.

وقـــد استطاعت هذه الدولة الناشئة أن توقع أول هزيمة ساحقة بجيش المغول الجـــرّار في سنة ٦٥٨هـــ/١٢٥٩م. وتكون بذلك قد أنقذت مصر والشام والأماكن المقدسة في فلسطين والجزيرة العربية، وبقية العالم الإسلامي من سقوط وشيك في براثـــن المغـــول التـــي لـــم ترحم إنسانية، ولم تبق حضارة، بل إن دولة المماليك اســـتطاعت أن تســـحق الوجـــود الصليبي في الشام على أيدي قادة عظام كبيبرس والمنصـــور قـــلاوون والأشـــرف خلـــيل بـــن قـــلاوون وهـــي بذلـــك قـــد

خلصـــت العالم الإسلامي من التحالف المغولي الصليبي[1] الذي كان داءً وبيلاً يمكن أن يأتي على الإسلام وأهله لو تحققت له فرص النجاح.

وبـــناءً علـــى خطـــورة الـــدور الذي اضطلعت به هذه الدولة، وضخامة الإنجـــازات العســـكرية والاقتصـــادية والعلمية التي حققتها فإن حركة الترجمة والتعريب كانت من مستلزمات هذا الكيان، ومن أوثق الأسس لبقائه وتمكينه.

والـــدارس لذلـــك العصـــر، والمتتبع لمصادره الأدبية والتاريخية بحثاً عن الـــترجمة ومـــا يتعلق بها من بواعث وأسباب، ومترجمات ولغات، يستطيع أن يرجع بواعثها إلى عوامل: السياسة والاقتصاد والحرب، والعلم والدين والمجتمع، مما يجعل هذه الأسباب غير مختلفة عن نظيراتها في العصر الحاضر.

---

(١) انظر : الباز العريني: المماليك: ٥٠.

المبحث الأول

بواعث الترجمة والتعريب وأسبابهما

لعـــل أظهر أسباب التعريب والترجمة هم المماليك أنفسهم الذين جلبوا إلى مصر على أيدي الأيوبيين ولا سيما الصالح أيوب بن السلطان الكامل الذي أكثر من شرائهم، وأطلق عليهم اسم البحرية ، وعيّنهم أمراء في دولته وصاروا بطانة له يسكنون في قلعة الروضة بمصر[٢]. أما موطن المماليك البحرية الذين عرفوا بالأتـــراك فهـــو بـــلاد القَبْجَاق*، فالملك الظاهر بيبرس (٦٧٦هـــ/١٢٧٧م) ولد بـــأرض القبجاق سنة ٦٢٥هـــ/١٢٢٧م. وأسر ثم جيء به إلى مصر[٣] ، وكذلك الملـــك المنصور سيف الدين قلاوون (ت ٦٨٩هـــ/١٢٩٠م) من جنس القبجاق اشـــتراه عـــلاء الديـــن اقسنقر أحد مماليك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار فعرف من ذلك بالألفي[٤].

ولمـــا اســـتقل المماليك بزعامة المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني (ت٦٥٥هـــ /١٢٥٧م) في سنة ٦٤٨هـــ/١٢٥٠م دأب سلاطينهم على استجلاب المماليك من مختلف الأجناس: "الترك والجركس والروم والروس وغير ذلك من الأجـــناس المشـــابهة للـــترك[٥]" بأعداد كبيرة جداً جاوزت المئين إلى الألوف، ويصـــف لـــنا المقريزي ذلك قائلاً: "واستجلبوا من المماليك التي تجلب من بلاد الـــترك شيئاً كثيراً حتى يقال: إن عدة مماليك الملك المنصور قلاون كانت سبعة

---

٢. انظر: المقريزي،السلوك: ١/٣٣٩-٣٤٠.

*. القبجاق: "فرع من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر إرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إتل (الفلجا)جنوبي الروسيا الحلية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق، كما عرفت به أيضاً دولة المغول المسماة باسم القبيلة الذهبية"، المقريزي، السلوك: ١/٦٦٣، حاشية (١).

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١/٣٢٩.

٤. المقريزي، السلوك :١/٦٦٣.

٥. القلقشندي، صبح الأعشى:٤/٢١٦

آلاف مملوك ويقال: : اثني عشر ألفاً، وكانت عدة مماليك ولده الأشرف خليل بن قلاوون اثني عشر ألف مملوك" [٦].

وإذا مـــا تجاوزنـــا المثالين السابقين في كثرة استجلاب المماليك في الدولة المملوكية البحرية إلى المماليك في الدولة المملوكية البرجية، فإننا نجد أن الظاهر بـــرقوق (ت ٨٠١هـــ/١٣٩٩م) قد جلب ما يزيد على أربعة الآف مملوك أغلبهم مـــن الجراكسة[٧] الذين علل القلقشندي كثرتهم بميل برقوق إلى أبناء جنسه من الجراكسة[٨].

وإذا ما اعتبرنا عدد سلاطين المماليك وهم سبعة وأربعون سلطاناً إلى كثرة مـــا استحضـــروه من المماليك صغاراً وكباراً، وجدنا سيلاً بشرياً أعجمياً متدفقاً علـــى مـــدار ثلاثمـــئة ســـنة تقريباً، والأعم من ذلك أن الحكم والسيادة والقوة العســـكرية كانت حكراً على أولئك الطارئين الجدد الذين تعصّبوا لأجناسهم، وإن اختلفوا فيما بينهم أحياناً صراعاً على الحكم.

وبناءً على ما تقدم فإن تعريب المماليك كان ضرورة حيوية لبقاء الدولة من جانـــب وللتوحـــيد اللغـــوي والثقافـــي لأجناس المماليك من جانب آخر، ولكن الاســـتجابة لحـــركة التعريـــب كانت تلقى قبولاً تاماً من المماليك الصغار الذين عرفوا بالكتابة وذلك لمناسبة سنهم للتعليم[٩] وقد أبدى المقريزي لنا إعجابه بهذه المدرسة العسكرية الكبرى (مدرسة الطباق) التي تقوم بتعريب المماليك وتعليمهم وتنشـــئتهم تنشـــئه عربـــية إسلامية قائلاً: "وكانت للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة، أولها: أنه إذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان، ونزّله في طبقة جنســـه، وسلّمه لطواشي برسم الكتابة، فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من

---

٦. المقريزي،المواعظ والاعتبار:١/٩٥.

٧. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ١/٩٥.

٨. القلقشندي، صبح الأعشى:٤/٤٦٢،٤٥٨.

٩. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:١٤/١١٩.

القرآن الكريم، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى، ومعرفة الخط، والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار، وكان الرسم إذ ذاك أن لا تجلب التجار إلا المماليك الصغار، فإذا شبّ الواحد من المماليك علّمه الفقيه شيئاً من الفقه، وأقرأه فيه مقدمة، فإذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب . "[١٠].

وقد ترتب على هذه الحركة الإيجابية لتعريب المماليك أن تهذبت أخلاقهم وعظموا الإسلام وأهله، وأصبحوا فرساناً للإسلام، بل إن بعضهم "من يصير في رتبة فقيه عارف، أو أديب شاعر، أو حاسب ماهر" [١١]، ومع هذه الجهود الحثيثة التي بذلتها مدرسة الطباق في تعريب المماليك إلا أن مجيء بعضهم كبيراً. وعدم دخولهم لهذه المؤسسة التعليمية التي تصقل ألسنتهم بالعربية، كان له آثار تدميرية على المماليك أنفسهم، وعلى العربية نفسها، وتمدنا كتب التراجم بنماذج من أمراء المماليك وسلاطينهم وأفرادهم الذين لم يتعلموا العربية بتاتاً، أو ترفعوا حتى عن الحديث بها، أو نالت اللغات الأعجمية منهم عناية تفوق عنايتهم بالعربية.

فسيف الدين بُشتاك الناصري (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) الذي كان من أكابر أمراء الدولة وأعيانهم، وكان مقرباً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولكن بُشتاك كان تياهاً صلفاً لا يتكلم بالعربية، ولا يخاطب الناس إلا بترجمان [١٢]، وألماس الحاجب الناصري الذي كان ينوب مناب السلطان حال غيبته كان لا يفهم بالعربية شيئاً[١٣].

---

١٠. المقريزي، المواعظ والاعتبار :٢/٢١٣.

١١. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٢/٣١٤.

١٢. ابن حبيب الحلبي، تذكرة النبيه: ٣/٣١.

١٣. ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة ١/٤٣٨-٤٣٩، الصفدي، الوافي: ٩/٣٧١.

وعـــلاوة علـــى الأمـــراء فإن بعضاً من سلاطين المماليك كالظاهر ططر (ت ٨٢٤هـــ/١٤٢١م) كـــان شـــديد العناية بلسان الأتراك، وكانت لديه مكتبة ضـــخمه باللغـــة التركـــية، كمـــا أمر بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللغة التركية[١٤].

وحـــافظ المماليك على زي خاص يميزهم عن العرب، وكان الزي التركي أثـــيراً لديهم[١٥]، وكانت اللغة التي يسمر بها بعضهم أحياناً غير العربية، فعندما جاء حمزة التركماني من الشرق اتصل بخدمة الأمير سيف الدين تنكز الحسامي (ت ٧٤١هـــ/ ١٣٤٠م) الـــذي كان نائباً لدمشق، وكان حمزة التركماني يسامر تنكز بأخبار رستم المذكور في ملحمة الشاهنامه[١٦].

وفـــوق عصبية المماليك لأجناسهم وألسنتهم وتميزهم بأزياء خاصة، فإنهم حـــافظوا علـــى أســـمائهم التركية أو المغولية، ووجدوا من المؤرخين من يفسر معانـــيها لهـــم، فمثلاً أرتامش يعني بالتركية فضلة، وبُطا معناه الجمل الصغير، وطُـــرنا يعنـــي كركـــي، وتغـــري بردي يعني الله أعطى، وجانبك معناه أمير روح[١٧].

ويتبيـــن لـــنا ممـــا تقدمت الإشارة إليه أن حركة الترجمة والتعريب كانت ضـــرورية لتحقيق التجانس الثقافي، والتواصل المعرفي، ولبقاء لغة العرب حية فـــي مؤسســـات الدولة المختلفة وبخاصة ديوان الإنشاء الذي صدرت عنه جميع المكاتبات في التعيينات والاقطاعات إلى المماليك.

---

١٤. العيني، عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٥٧.

١٥. القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٩/٤.

١٦. الصفدي، الوافي: ١٨٩/١٣.

١٧. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢٩١/٢، ٣٨٠/٣، ٤٢١/٣، ٣٥/٤، ٢٢٢/٤.

وثمـــة دافع آخر لا يقل عن سابقه أهمية وهو الباعث العسكري المتمثل في تأمين حدود الدولة، وذود أعدائها، ومعرفة مخططاتهم المسبقة، وما يجري حولها من أحلاف وتجمعات دولية، وإلقاء القبض على عملاء الأعداء وجواسيسهم.

وقد نجحت الدولة المملوكية نجاحاً كبيراً في هذه الناحية، وجعلت أمر العيون والجواســيس منوطاً برئيس ديوان الإنشاء، ومن مهماته التي يتصرف بها، وتعتمد علـــى تدبـــيره، ويوضح لنا القلقشندي ذلك بقوله: "وهو جزء عظيم من أسّ الملك وعماد المملكة. وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره، وإليه رجوع تدبيره، واختيار رجاله وتصريفهم، فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر الـــبريدية والرسل؛ لأن الرسول قد يتوجه إلى العدو وغيره، والجاسوس لا يتوجه إلى العدو، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر، وعليه معتمد، وبه فاعل" (١٨).

ويلاحـــظ أن مؤسســـة ديوان الإنشاء قد وضعت شروطاً لمن ينتدبون لهذا العمـــل (الجاسوســـية) أو يقومـــون بـــه، وأهم هذه الشروط: الفراسة، والحدس الصـــائب، وصـــدق النصيحة، والدهاء والحيلة، ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها، والصـــبر إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية والجسمية، ولكنهم عدّوا معرفته بلغة القوم الذين يتوجه إليهم من أخص هذه الشروط ، يقول القلقشندي: " ومنها أن يكـــون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها؛ ليلتقط ما يقع من الكلام فيما ذهـــب بسببه ممن يخالطه من أهل تلك المملكة، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ولا يكون مع ذلك ممن يتهم بممالأة أهل ذلك اللسان، من حيث إن الغالب على أهل كل لسان اتحاد الجنس، والجنسية علة الضم"(١٩).

---

١٨. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١/١٢٣.

١٩. المصدر السابق: ١/١٢٤.

ومما أضيف إلى مهام رئيس ديوان الإنشاء: النظر في أمر الفداوية أو المجاهدين، وهم جماعة من الإسماعيلية الذين يستوطنون عدداً من القلاع المحصنة بين حماة وحمص، وكانوا يقومون باغتيال خصوم الدولة، أو الفارين منها، إن دعت الحاجة إلى ذلك[٢٠]، وبما أن مهمتهم كانت تقتضي العمل في البلدان الأجنبية فإن تعلمهم للغاتها كان من شروط إرسالهم إليها، شأنهم شأن الجواسيس الذين يعبر عنهم أحياناً بلفظة القُصاد.

وقد اهتم الظاهر بيبرس بأمر القُصاد اهتماماً عظيماً، وأنفق فيهم الأموال الوفيرة: لأنهم يغررون بأنفسهم ويحملونها على الخطر في الدخول إلى بلاد الأعداء تعرفاً على مخططاتهم، ورصداً لتحركات جيوشهم حتى وصف بأنه "لم يزل مهتماً بأمر الأعداء، ومحترزاً من مكائدهم، وآخذاً بالحزم في أمورهم، وقصاده لا تنقطع من بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم"[٢١].

وكان قُصاد بيبرس منتشرين في بلاد التتار والأرمن وبقية معاقل ومدن الفرنج بالساحل الشامي، فعندما بعث هلاون جاسوسين إلى دولة المماليك كانت المطالعات بأخبارهما ترد أولاً بأول حتى ألقي القبض عليهما في القاهرة[٢٢]، كما أنه كان على علم بحركة الفرنج في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، فأخذ أهبته لذلك خوفاً من قيامهم بحملة صليبية جديدة على أحد ثغور الدولة المملوكية[٢٣].

وعلاوة على ذلك فإن جواسيس الأعداء من صليبيين وتتار كانوا مندسين ومنتشرين في أرض الدولة المملوكية بل في الجيش المملوكي نفسه، فعندما كان بيبرس محاصراً لحصن القرين ببلاد الشام سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م: "وبينما كان السلطان واقفاً لنصب المنجنيقات وردت رسل عكا، واتفق أن السلطان يرمي

---

٢٠. القلقشندي، صبح الأعشى: ١/١١٩-١٢٢.

٢١. ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر: ١٣٥

٢٢. المصدر السابق ١٩٥.

٢٣. المصدر السابق ٣٧٠.

نشـــاباً علـــى القلعة مرّ به طائر فرماه، فإذا فيه بطاقة من جاسوس في العسكر مضـــمونها أخبار السلطان، وذلك بحضور كبير الرسل، فسلم الطائر له، وقال: "استصحبه معك ليقرأه الفرنج، فهذه البطاقة كتبها إليكم جواسيسكم" (٢٤)

وتصور لنا الرسالة التي بعثها الأمير آقوش الأفرم (ت بعد ٧٢٠هـ/١٣٢٢م) إلـــى ابن سعيد الدولة مشير السلطان المملوكي وجليسه آنذاك مقدار عناية الدولة بالقصاد، وحرصها على استمرار عملهم، لأهميتهم القصوى لأمنها، يقول الأفرم مخاطـــباً ابن سعيد الدولة وموبخاً له على تنقيصه لراتب أحد القصاد وهو ضوء ابـــن صـــباح: "والك،(*) يا ابن سعيد الدولة، ما أنت إلا ابن تعيس الدولة، والك وصلت إلى أنك تقطع جوامك (رواتب) القصّاد الذين هم عين الإسلام، ومن هذا وأشـــباهه. والله إن عُدت تعرّضت لأحد في الشام بعثت من يقطع رأسك ويجيء به في مخلاة" (٢٥).

ويـــبدو من الأخبار المتعلقة بالقصاد والعيون أنهم قد تمكنوا من مدّ الدولة بالمعلومـــات الرئيســـية الحيوية عن تحركات الأعداء واستعداداتهم، فالمخابرات المملوكية استطاعت معرفة أمر الحشود الإفرنجية في قبرص بزعامة ملكها الذي خطـــط لغزو الإسكندرية ونهبها، وآية ذلك أن الأمير يلبغا الخاسكي عندما دخل الإسكندرية بعد غارة القبرسي المدمرة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م: "ورأى ما آل أمرها إليه من الهدم والحريق، والقتلى المطروحة بظاهرها وباطنها، بكى مـــا أصابها وأصاب أهلها في أيام عزه وحكمه، فلام نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العمارة بجزيرة قبرس" (٢٦).

---

٢٤. المصدر السابق:٣٨٦.

*. كلمة عامية ما زالت مستخدمة في لغة بلاد الشام ويخاطبون بها من يريدون الحط من قدره أو توبيخه.

٢٥. الصفدي الوافي بالوفيات:٩/٣٣٠

٢٦. النويري، الإلمام:٣/٢١٢.

فجواسيس الدولة أخبروها بأمر الاستعدادات العسكرية الصليبية بقبرس، وهذا ما عبر عنه بـ "العمار" ولكن حاكم الإسكندرية لم يحمل الأمر على محمل الجد، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة قراصنة الإفرنج في البحر.

ولما كانت الجاسوسية عملاً متبادلاً، ولم تستطع الدولة المملوكية منع جواسيس الأعداء من دخول أراضيها أحياناً، فإنها قامت بتجنيد جواسيس الأعداء لصالحها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، مع اطلاعهم على بعض الأمور، وقد وصف لنا القلقشندي ذلك: "والطريق في ذلك أن يتلطف إلى أن يصيّر جاسوس عدوه جاسوساً له، بأن يتودد إليه بالاستمالة والبر وكثرة البذل، حتى يستخرج نصيحته، فحينئذ يلقي إليه ما أراد تبليغه إلى صاحبه الأول مما فيه المكيدة، فيوصله إليه، فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره مما يتهمه"[٢٧].

واستطاعت الدولة عن طريق الجواسيس التراجمة أن تقف على تحركات الأعداء ومخططاتهم نحوها، واتصالاتهم الداخلية والخارجية عبر أراضيها، ومثال ذلك أن ملك الحبشة إسحاق بن داود بن سيف بن أرعد الملقب بالحطي (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) قد كاتب ملوك الإفرنج داعياً لهم إلى غزو الدولة المملوكية، ونسّق معهم الخطة الحربية المناسبة، وذلك بقدومهم بحراً من الشمال، وهجومه براً من الجنوب[٢٨]، ولكن الدولة المملوكية عرفت بالأمر، وألقت القبض على حَمَلة رسائل ملك الحبشة إلى الأوروبيين.

ولم تقتصر الحاجة إلى الترجمة على جمع أخبار الأعداء، ومراقبة تحركاتهم والاستعداد للتعامل معهم، وكشف جاسوسيتهم المضادة، بل تعدّى ذلك إلى الحاجة إليها في ميدان المعركة، وفي أثناء الحصار والمنازلة، فقد روى ابن شداد خبراً طريفاً يتعلق بمشاركة المترجمين للوحدات العسكرية في الحرب، فخلال حصار بيبرس لقلعة الشقيف: "ورد قوم مسلمون من عكا، ومعهم كتب

---

٢٧. القلقشندي، صبح الأعشى: ١/١٢٦.

٢٨. انظر المقريزي، درر العقود الفريدة:٢/٢١٣. وانظر شافع بن علي، حسن المناقب السرية:٢٨٤

من أهل عكا إلى من بالشقيف من النواب، وكانت الكتب أوراقاً مقصوصة عوض الكتابة بالخط الفرنجي، فترجمت فكان مضمونها: "لا يهولنّكم نزول هذا العدو عليكم، وقاتلوه أشدّ القتال، وإن احتجتم إلى شيء تصرفونه فيما يعينكم عليه فخذوا من فلان، وسمّوا لهم رجلاً، وذكروا أموراً باطنة تؤكد وصاياهم لهم. وكان بالشقيف رجل قد صادروه فأوصوهم في الكتب بتطييب قلبه، وإعادة ما كان أخذ منه خوفاً من مخامرته (خيانته)، فلما وقف مولانا السلطان على ما في الكتب من الأسرار، أمر أن يكتب مثلها وأن يُزاد فيها: " وإن أنتم رأيتم من أنفسكم عجزاً عن قتاله فسلّموا الحصن إليه، واجعلوا فيما تشترطون عليه سلامة أنفسكم وأولادكم وحريمكم"، ثم بعث بها وزاد في مضايقة الحصن، فلما وقفوا على الكتب وتيقّنوا صحتها بما وجدوا فيها من العلامات التي لا يمكن أن يطلع عليها سواهم، رأوا من الرأي أن يبعثوا إلى السلطان يطلبوا منه الأمان على الحريم والولدان عند علمهم باستظهاره عليهم، وعجزهم عن حفظ الحصن، فأجابهم إلى ذلك وتسلّمه منهم"[٢٩] .

فالنص المتقدم يكشف لنا بجلاء عن مدى أهمية الترجمة وخطرها للدولة المملوكية في الحرب والسلم من جانب، كما يوضح لنا أمر استصحاب المماليك لـ "جميع كتاب الإنشاء، خلا طائفة يسيرة منهم"[٣٠] في حملاتهم الحربية، لما قد يحتاجون إليه من مهام كتابية في أرض المعركة.

وفوق ذلك فإن دولة المماليك أرسلت رجالها العارفين بلغات الأعاجم من فرنج وتتار لاغتيال ملوكهم أو أمراء المماليك الفارين إلى الممالك المجاورة [٣١].

---

٢٩. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٢٦٩-٢٧٠، وانظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة:١١٥و.

٣٠. ابن شداد تاريخ الملك الظاهر ١٧٠.

٣١. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٢٠/٢٤، عبدالمنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب: ١٩٨-١٩٩:

Cl-CAHEN,"la chronique de Kirtay et les Francs de Sy

Asiatique, janvier-Mars 1937, pp.140-145..

والدوافع العسكرية للترجمة في ديوان الإنشاء كثيرة، والحديث عنها يحتاج إلـــى بحث منفرد يكشف عن كثير من جوانبها الخفية، وذلك مما وقفت عليه فـــي بعـــض المصـــادر والوثـــائق التـــي لم تصل إلى أكثرها أيدي الباحثين المعاصرين، أو هي مجهولة عندهم وذلك لعدم الكشف عنها أو صعوبة الوصول إليها [٣٢].

وإذا مـــا تجاوزنا الأغراض والبواعث العسكرية لحركة الترجمة في ديوان الإنشـــاء المملوكـــي فإن الأسباب الاقتصادية لا تقل عنها أهمية وخطراً، وأهم البواعث الاقتصادية الدافعة للترجمة: التجارة والذهب.

أما التجارة التي كانت أهم أسباب ثراء الدولة المملوكية وقوتها الاقتصادية، فقـــد كانـــت إحدى ساحات الحرب بين المماليك والباباوات الذين ما توقفوا عن إصـــدار قرارات الحرمان والتحريم ضد الأوروبيين الذين نشطوا في التجارة مع المماليك، وخاصة بعد استرداد المماليك لعكا من الصليبين سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، فقـــد قـــام أحد خبراء الكنيسة وهو مارينو سانودو تورسيللو بتأليف كتاب "أسرار حمـــاة الصليب" في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي محاولاً إقناع الأوروبيين بـــأن قطـــع التجارة مع المماليك هو السبيل إلى نضوب موارد ثروتهم وبالتالي إضعافهم وهزيمتهم عسكرياً[٣٣].

لكن التجارة مع المماليك كانت مصدراً لإدرار الأرباح الوفيرة على التجار الأوروبيين مما جعل البابا يسمح لهم بالمتاجرة مع المماليك في أغلب السلع سوى ما يمكن أن يقوي المماليك عسكرياً[٣٤].

وقـــد أدرك المماليك أن الحرب الاقتصادية التي شنّها عليهم الصليبيون لا تقـــل ضـــراوة عـــن مواجهتهم الحربية لهم، فهم يريدون حرمانهم من مصادر

---

٣٢. انظر على سبيل المثال: شافع بن علي العسقلاني، الفضل المأثور: ٤٠ و -٥٧ ظ؛ بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة: ٧٥-١٢٠ظ.

٣٣. انظر، آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى: ٣٨٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية: ١١٣٨/٢-١١٤٩.

٣٤ انظر اشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي: ٣٨٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية ١١٤٤/٢.

ثرواتهم الطائلة، ومن مصادر قوتهم العسكرية ممثلة في المماليك الصغار الذين يجلبون لدولتهم تمهيداً لتربيتهم تربية عسكرية، وتعريبهم ثم إدخالهم للجيش المملوكي[٣٥].

وبناءً على ما سبق فإن المماليك، قاموا بتنشيط حركة التجارة مع أغلب الدول والإمارات والشعوب القائمة آنذاك، وقد تمثلت جهودهم في هذا المضمار في:

أ- حرص سلاطين المماليك على سمعة بلادهم التجارية عند ملوك الإفرنج وتجارهم، فعندما ألقى نائب طرابلس الأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م، القبض على أحد قراصنة الإفرنج وأرسله إلى السلطان ادعى ذلك الرجل أنه تاجر وليس قرصاناً، وأقنع السلطان والأمراء بصحة دعواه، فقال السلطان للأمراء: "أبصروا نائب الكرك إيش عمل في بلادي ويريد يفسد عليّ التجار، ويجعل سمعتي نحس عند الإفرنج وملوك البحر"[٣٦].

ب- تقدير التجار واحترامهم وبخاصة الكبار منهم لما لديهم من ثروات مادية ضخمة، تقديراً لدورهم في نمو الحركة التجارية، فوجيه الدين محمد بن علي التكريتي (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م) كان "معظماً عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك، حتى ملوك الفرنج في السواحل، وفي أيام التتار وهولاكو"[٣٧]، ويذكر ابن حجر العسقلاني واحداً من أثرياء التجار في العصر المملوكي وهو محمد بن مسلم (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)الذي كان له الحظ الوافر في التجارة وفي العبيد السفّارة فكان يرحل

---

٣٥. انظر: هايد، تاريخ التجارة في العصور الوسطى: ٣/٤٠، ٤/٥٤.

٣٦. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر:٢٣٨.

٣٧. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ٢/١٩٣، وانظر:٢/٢٩١.

(كـــذا) إلـــى الهند والحبشة واليمن والتكرور ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة"[٣٨].

أمـــا التجار الكارمية الذين شكلوا طبقة كبيرة متميزة من التجار فـــي ذلـك العصـــر ، فقد شجعتهم دولة المماليك لما لهم من نفوذ تجـــاري ممـــتد مـــن مصر إلى الهند تجلى في محطاتهم وفنادقهم ووكـــالاتهم ومراكزهم التجارية من جانب، ولما قدموه من ضرائب ومدفوعات عززت الخزينة المملوكية من جانب آخر[٣٩].

ولـــم يقتصر تقدير الدولة المملوكية على رعاية التجار الذين كانوا مـــن رعاياهـــا بل قامت سياستها الاقتصادية على استجلاب التجار واســـتقدامهم مـــن كـــل الأمم والأجناس والإحسان إليهم، فقد كتب المنصـــور قلاوون أماناً لكل التجار من كل البلاد تشجيعاً لهم على القـــدوم إلـــى دولة المماليك[٤٠]، ونجد في وثيقة أخرى تخص تجار الفـــرنج أنه: " لا يتعرض لهم ببلص ولا يجدد عليهم حوادث لا في البر ولا في البحر"[٤١].

جـــ عقـــد المـــالك المعـــاهدات والمراسيم والأمانات التجارية[٤٢] مع الجمهوريات الإيطالية، والممالك الأوروبية المختلفة، وقانات التتار، وســـلاطين الهـــند، وأغلـــب الكـــيانات السياســـية المعاصرة لهم،

---

٣٨. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:٥/٢٦.

٣٩. انظر: صبحي لبيب: "التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى" المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٢م، المجلد الرابع، العدد الثاني، ص ٥-٥٣.

٤٠. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ١٣/٣٤٠-٣٤١

٤١. انظر: مثل هذه الوثائق والمراسيم والأمانات والعقود عند: M. Amari, I diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino (Firenze 1863) PP.165-236

٤٢. انظر: Maximiliano A. Alarcon Y.Santon and Ram'on Garcia De Linares, Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De La Corona De Ragon, (Madrid 1940) PP.372-390

مانحـــة لهذه الدول امتيازات تجارية كثيرة، مما أدى إلى اقبال هذه الـدول على المتاجرة مع المماليك، وإرسال تجارها إلى أراضيهم، فأصـبحت مـدن الشـام ومصر وموانيها كالقاهرة ودمشق وحلب والإسكندرية وبيروت واللاذقية تعج بالتجار والجاليات الأجنبية من مخـتلف الأجناس والألسنة. وفوق ذلك فإن مثل هذه المعاهدات قد سـهلت مجـيء القناصل الأوروبيين، حيث وجد قناصل لبرشلونة والبندقية وفرنسا وبيزا وجنوة وفلورنسا وفرسان الاستبارية وغيرهم في كثير من مدن الدولة المملوكية[٤٣].

وتعزيـزاً لمكانـة القناصل المعتمدين عند الدولة المملوكية فإنها قد أعطت كل قنصل صلاحيات تجارية وقضائية فيما يتعلق بطائفته، بل إن الدولة صرفت له راتباً خاصاً (جامكية)، وأمنّت إقامته في فندق كبير هو وأفراد طائفته بما تشتمل عليه هذه الفندق من مستودعات ومرافق مختلفة[٤٤].

أمـا عـن دور الـتراجمة في التجارة فقد كان عظيماً، لأنهم الوسطاء الذين يقومون بالتفاهم بين المتبايعين من عرب وغيرهم من أرباب الألسنة. ولذلك قلّما تخلو وثيقة من الوثائق التجارية الصادرة عن ديوان الإنشاء المملوكي من الإشارة إلـيهم ، فقد جاء في إحدى المعاهدات التجارية التي وقعها المماليك مع جمهورية فلورنسا سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م، ما نصه: " سأل المذكورون صدقاتنا الشريفة أنه إذا حضـر جماعـة الفرنتينن الثغر السكندري المحروس أو إلى ثغر من الثغور الإسلامية وحضروا ببضاعتهم إلى فندقهم أو مخزنهم يبيعون بضاعتهم بالقياض أو بالـنقد لمن يختاروه (كذا)، وبعد ذلك يقوم المذكورون للديوان الشريف بأربعة عشر

---

٤٣. انظر هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى:٣/٣٠٠، ٣٣٩-٣٤٠.

٤٤. انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى: ٣/٣٠٣/٣-٣٠٤، ٣٠٦، ٣٥٤ صبحي لبيب: "الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية" نشر في كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم : رؤوف عباس، ط١، دار الفكر للدراسات، القاهرة- باريس، ١٩٨٦م: ٢٨٤-٣٠٥.

ديـــناراً فـــي المائـــة وأن يوزنـــوا بضـــاعة بقـــيمة ذلـــك أو نقـــداً مـــن غـــير السمسرة والتراجمة"(٤٥).

ويظهر أن الدولة المملوكية كانت تحصل على إدرارات كبيرة من الرسوم التي تدفع مقابل القيام بالترجمة أثناء عقد المبايعات والصفقات التجارية(٤٦).

وعـــلاوة على ذلك فإن الترجمة كانت ضرورية لتسهيل التجارة؛ لأن التراجمة عُـدّوا موثقيـــن وشهوداً على عمليات البيع والتبادل التجاري ، ويظهر ذلك جلياً من خـــلال نـــص المعـــاهدة الـــتجارية المبرمة في سنة ٦٥٢هـــ/١٢٥٤م بين السلطان المملوكـــي الملك المعز أيبك وبين جمهورية البندقية: "إذا اشترى أحد البنادقة أو أحد المســـلمين شـــيئاً من الآخر أو إذا باع أحدهما شيئاً للآخر فعليه أن يدفع مقدماً للثمن حتى تكون العملية التجارية ثابتة، وليكن الترجمان شاهداً بين المشتري والبائع ويجب أن يوثق ذلك"(٤٧).

ويظهـــر من خلال إحدى المعاهدات التجارية الموقعة زمن السلطان قايتباي مع الفـــرنج، أن ســـلطة التراجمة على تجار الفرنج كانت قوية، وأنهم كانوا يشددون في إجراءات الترجمة ، أو يشتطون في طلب الأجرة من تجار الفرنج الذين ربما طلبت منهم أجرة الترجمة مرتين: " ذكر أن من شروط البنادقة أنهم إذا أقاموا بالترجمة لمن هو مستقر في الترجمة فلا يطالبون بترجمة ثانية، ولو كانت البيعة مقيمة بالثغر، ولو أخرج التاجر الفرنجي بهار العوض فلا يطالب بترجمة ثانية فرسم لهم بذلك حيث إن الـــتاجر الفرنجـــي أقـــام بالترجمة أولاً للترجمان المنفصل من الترجمة، فالجناب العالـــي يـــتقدم بإجـــراء تجـــار الفرنتيـــن المذكوريـــن على حكم شروط البنادقة المذكورة في ذلك"(٤٨).

---

٤٥. J. wansbrough., A Mamluk Commercial Treaty, P.54.

٤٦. انظر ابن شاهين، زبدة كشف الهالك وبيان الطرق والمسالك: ١٠٨.

٤٧. M.Latri, Traite des Paix et de Comerce , PP.77-80.

٤٨. A.Amari, I diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino, PP.203-4.

وتُعد مسألة العملة وبخاصة الذهب من البواعث الاقتصادية للترجمة في العصر المملوكي، حيث وثّق المماليك علاقاتهم بمملكة التكرور (السودان الغربي) التي كانت واحدة من المصادر الأساسية لجلب التبر[٤٩].

وعلاوة على ذلك فإن المماليك بحكم علاقاتهم التجارية النشطة، وتردد تجار الفرنج إلى بلادهم قد تعاملوا بالدوكات وهي "دنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك التي تُضرب في زمنه، وعلى الوجه الأخر صورتا بطرس وبولس والحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية، ويُعبّر عنها بالإفرنتية جمع إفْرِنْتي"[٥٠].

وفوق التعامل بالإفرنتي فإن معدن الفضة قد تدفق على الدولة المملوكية من أوروبا ومن آسيا الوسطى[٥١]، بل إن الظاهر برقوق بعث إلى بلاد الفرنجة لجلب النحاس الأحمر لضرب الفلوس[٥٢].

أما **البواعث الدينية** للترجمة فإنها لا تقل أهمية عن البواعث العسكرية والاقتصادية السالفة الذكر، وقد ظهرت الحاجة إلى الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي نتيجة لما يأتي:

أ- الصراع على السيادة على الأماكن المقدسة بين المماليك والصليبيين من جانب، وبين المماليك والتتار من جانب آخر، فقد شن الصليبيون حروبهم وحملاتهم على المسلمين وعدّوهم كفاراً

---

٤٩. انظر العمري، مسالك الأبصار، مخطوط أحمد الثالث، طوبقابو سراي (رقم ٢/٢٧٩٧) ورقة، ٣٦،٣٤،٣٥

N. Levtzion, "Mamluk Egypt and Takrur (west africa)" in Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon, (Leiden.1986), PP 183-270.

٥٠. القلقشندي صبح الأعشى: ٣٤٧/٣.

٥١. انظر أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي: ٣٨٠-٣٨١.

٥٢. المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة: ٧١.

يسيطرون على مواقع إيمانهم المقدسة[٥٣] قرابة مئتي عام، إلا أنه قد تم تطهير الساحل الشامي منهم تماماً على يد الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، ولكنهم لم يتخلوا عن مشاريعهم الصليبية، وحاولوا إعادة سيطرتهم على الأراضي المقدسة الخاضعة لسيطرة الدولة المملوكية بشن الغارات على السواحل المملوكية، وبمحاصرة المماليك اقتصادياً لإضعافهم عسكرياً.

ولّما أيقن الأوروبيون عجزهم عن قهر المماليك عسكرياً، عمدوا إلى محاورتهم سياسياً، فأرسلوا البعثات الدبلوماسية لتحقيق ما عجزوا عنه حربياً، ووعدوا ببذل الأموال الطائلة للخزينة المملوكية فيما إذا سمحت لهم دولة المماليك بالسيطرة على القدس وبلاد الساحل، فقد ذكر العمري في دستوره المؤلف لديوان الإنشاء خبر السفارة التي أرسلها فيليب السادس ملك الفرنسيين الذي يشار إليه وفقاً لمصطلح ديوان الإنشاء المملوكي باسم: (الريد فرنس) في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م طالباً "بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ويكون للإسلام بهما ولاة مع ولاته، والبلاد مناصفة، ومساجد المسلمين، قائمة، وإدرارات قومتها دارة، على أنه يبذل مائتي ألف دينار تعجّل "[٥٤] ولكن السلطان المملوكي قابل العرض الفرنسي بالرفض الشديد والتهديد والوعيد لرسل الريد فرنس قائلاً:" والكم صارت لكم ألسنة تذكر القدس، والله ما ينال أحد منكم منه ترابة، إلا ما تسفيها الرياح عليه وهو مصلوب !

---

٥٣. انظر: بور، آيلين: نماذج بشرية من العصور الوسطى٥٢.

٥٤. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف:٨٢، وانظر المقريزي السلوك : ٣١٩/٢ .

وصرخ فيهم صرخة زعزعت قواهم، وردهم أقبح رد، ولم يقرأ لهم كتاباً، ولا رد عليهم سوى هذا جواباً"[٥٥].

أما التتار فإنهم قد تطلعوا إلى السيطرة على مراكز الحج الإسلامي في الحجاز منذ أيام الظاهر بيبرس الذي توجه بنفسه إلى الحجاز عندما بلغته الأخبار في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م بأن التتار "جهزوا ركباً إلى الحجاز، وقصدوا بذلك كشف الطرقات، والتلصص على تلك الجهات، فركبوا الطريق، ومعهم جماعة من المغل لا يعرفون الله، ولا حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة، كم أهلكوا من أمم! وكان قصدهم استباحة دم الحجاج في الحرم، فبلغتهم حركة السلطان، فرجعوا خائبين"[٥٦].

وتردت رسل شاه رخ بن تيمور إلى السلطان المملوكي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي طالبة أن تكون كسوة الكعبة لشاه رخ إلا أن السلطان المملوكي ردّها رداً قبيحاً مبيناً لهم أن كسوة الكعبة لسلاطين المماليك وليس لغيرهم[٥٧].

وفوق ذلك فإن سلاطين المماليك اشترطوا في منحهم التقليد بالإمرة لأمراء مكة أن تكون الخطبة والسكة وكسوة الكعبة للسلطان المملوكي[٥٨].

ب- الحج الإسلامي: لقد غدت الدولة المملوكية راعية للحرمين الشريفين وبيت المقدس، وأولى سلاطين المماليك الأماكن المقدسة

---

٥٥. المصدر السابق ٨٣-٨٤.

٥٦. ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر: ٣٥٦.

٥٧. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٤/٣٦٨، ١٥/٤٨.

٥٨. انظر الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ١/١٩١، ٤٥٩.

أتم الرعاية والعناية، فأمنوا طرق الحجيج [٥٩]، وأقاموا الخانات في طـرقهم[٦٠]، وقـاموا بعمـارة الأماكـن المقدسة وبناء المدارس والسـقايات والـبرك والمطاهـر والقباب فيها[٦١]، بل إن سلاطين المماليـك فخـروا بحمايـتهم للأماكن المقدسة من جانب كما عبّر حجـاج العـالم الإسلامي عن تقديرهم لدور سلاطين المماليك في حماية الأماكن المقدسة ورعايتها من جانب آخر[٦٢].

وقـدم الحجيج الإسلامي من بلاد المغول والترك والروم والهند والمغـرب والـتكرور وغـيرها من البلاد الإسلامية، وكان فيهم الكثـيرون ممن لا يحسنون العربية، فكان لا بد من وجود التراجمة للملـوك أو الأمراء أو الوزراء الذين غالباً ما تقوم الدولة المملوكية باستضافتهم وتأمين ما يليق بهم من سبل الراحة والإكرام، وقد يلتقي بهم السلطان أحياناً، فعندما حج منْسا موسى ملك التكرور سنة ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٣م قدّم للسلطان محمد بن قلاوون هدايا جليلة، وأرسل المهمـندار* لتلقيه، وركب به إلى القلعة في يوم الخدمة، فامتنع أن يقبّل الأرض، وقال للترجمان: " أنا مالكي المذهب، ولا أسجد لغير الله"، فأعفـاه السـلطان مـن ذلـك، وقـرّبه وأكـرمه وسأله عن

---

٥٩. انظر ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر ٨٧.

٦٠ .انظر ابن إياس، بدائع الزهور:١٣٣/٤.

٦١. انظر: القاسي، العقد الثمين:١١٧/١-١٢٨.

٦٢. انظر مؤلف مجهول، مائة وثيقة:ورقة:٤٨، ٦٨.

* المهمندار: موظف يقوم باستقبال الرسل والملوك الوافدين على الدولة المملوكية. انظر: الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ، ورقة ١٠٣ والسبكي معيد النعيم ومبيد النقم:٣١.

سـبب مجيئه، فقال: "أردت الحج"، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه"[٦٣].

وتشير المصادر إلى حج ملك أولاد قرمان[٦٤]، وإلى حج شمس الديـن رسـتم ملك كيلان[٦٥]، وحجّ أحد وزراء العجم وزار القدس والخلـيل[٦٦]، كمـا حـج ملكـان مـن ملـوك التكرور في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م[٦٧].

جـ- الحـج المسيحي، فعلى الرغم من ظروف الحروب الصليبية التي شـنّها الأوروبـيون وما تركته من مشاعر العداء فإن تسامح دولة المماليك ومـن قبلها دولة بني أيوب مكّن الحجاج المسيحيين من القـدوم لـزيارة الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم ودير سانت كاتريـن وغـيرها مـن الأماكن التي أضحت زيارتها من الشعائر المسيحية: "من أجل العبادة، واكتساب الفضائل الروحية"[٦٨].

وقـد سـهلت الدولة المملوكية مجيء الحجاج المسيحيين الذين اسـتفادت الدولة المملوكية منهم مالياً وتمثل ذلك في ضريبة يؤديها

---

٦٣. المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ١١٢، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١٤/١١٢، العمري، مسالك الأبصار: ٤/٤٣.

٦٤ انظر، القلقشندي صبح الأعشى ٥/٣٩٥.

٦٥ انظر، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٤/٧١.

٦٦. انظر، ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٧٩/٨٠.

٦٧. انظر، ابن اياس، بدائع الزهور: ٤/٣٤٣.

٦٨. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ١/٦٥.

الحجـــاج عـــند دخولهم الموانئ الإسلامية المخصصة للحجاج كيافا وصور وعكا وصيدا والإسكندرية وغيرها[٦٩].

وعلـــى الرغم من سماح المماليك بالحج لرسل ملوك الإفرنج[٧٠] فـــإن بعضـــاً مـــن النصـــارى جاؤوا للحج سراً، ولم يكشفوا عن شخصـــياتهم الحقيقية خوفاً من أن يلقي المماليك القبض عليهم، فقد حـــج ملـــك الكـــرج ســـراً فـــي سنة ٦٨١هـــ/ ١٢٨٢م، فتابعته الاســـتخبارات المملوكـــية مـــنذ خروجه من بلاده، ولما وصل إلى القـــدس "قـــبض عليه وعلى ترجمانه وأحضرا إلى الديار المصرية واعتقلا بها"[٧١].

ونظـــراً لمـــا للقـــدس من أهمية، ولكثرة من يؤمها من الحجاج المسيحيين فإن الدولة المملوكية قد عيّنت ترجماناً خاصاً للقدس يقوم باســـتقبال الحجاج بيافا والقدس، ويقوم بإثبات شخصية كل منهم في بطاقـــة خاصـــة ثـــم يرسل نسخة منها إلى كبير التراجمة بالقاهرة لعرضها على السلطان"[٧٢].

ويبدو أن التراجمة كانوا يراقبون الحجاج والرهبان مراقبة دقيقة، وقلّمـــا يسمحون لهم بالتنقل خارج القدس دون مرافقتهم ففي مرسوم أصـــدره السلطان خشقدم في سنة ٨٦٩هـــ/ ١٤٦٤م إلى رئيس دير صـــهيون مكّـــن فـــيه الســـلطان الرهـــبان من: "التوجه إلى بلادهم

---

٦٩. H. Ernst,Die Mamlukischen Sultansurkunden de Sinai Kloster (Wiesbaden, 1960) P236
A.V Harrf., The Pilgrimage Of A.V. Harrf 1496 -1499. Ed by M. Letts .(London, 1946) PP. 92-93.

٧٠. انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: ٧/٢٤٦.

٧١. انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات:٧/٢٥٢.

٧٢. أحمد دراج، المماليك والفرنج:٣٨. وانظر: علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي:٤٥.
وانظر: Frescobaldi, Gucci and Sigoli, Visit To The Holy Places. (Jerusalem 1948) PP 65 67

وضـــرورتهم، والعـــود إلى محلهم بترجمان وبغير ترجمان.." [٧٣]، ومنع التراجمة من أن : "يتعرضوا إلى الفرنج في ترجمة إلا إن كان بيده من يقصد التعرض إليهم مرسوم شريف بالترجمة"[٧٤].

د- الخلـــيفة العباســـي، قام بيبرس بإحياء الخلافة العباسية بمصر بعد ســـقوطها فـــي بغـــداد، وقـــد تـــم هـــذا الإحـــياء بمصر في سنة ٦٥٩هـــ/ ١٢٦٠م[٧٥]، ومن يومها وحتى سقوط الدولة المملوكية فـــي بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي اكتسبت هـــذه الدولـــة مكانة دينية وسياسة هامة، فغدت مصر والشام محطاً لســـكن العلمـــاء والفضلاء، بل إن من المؤرخين من أرجع عظمة مصر والشام إلى وجود الخلافة العباسية بها[٧٦].

ويبدو أن سلاطين المماليك قد اتخذوا من وجود الخليفة العباسي بمصـــر ومـــا حظي به من مكانة دينية في نفوس المسلمين وسيلة دعائـــية وإعلامية ترسيخاً لدعائم دولتهم، وإعلاء شأنها بين الدول الكـــبرى في ذلك العصر، فقد أرسل بيبرس إلى أحد حكام المغول وهو الملك بركة (حكم بين ٦٥٥ ٦٦٥هـــ/١٢٥٧-١٢٦٧م) خـــان القبيلة الذهبية التي حكمت في جنوب روسيا وغربي القَبْجَاق مجموعـــة مـــن رســـله : "وكتـــب علـــى أيديهـــم الكتب بأحوال الإســـــلام، ومـــــبايعة الخلـــــيفة علـــــيه الســـــلام-

---

٧٣. N. Risani Documenti E. Firmani (Gerusalemne, 1931) P. 298.

٧٤. Ibid P.306.

٧٥. انظر أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام : ١٧٩-١٩٩.

٧٦. انظر السيوطي، حسن المحاضرة: ٨٦، ٩٤.

فكتبت وأذهبت (كذا ولعلها: ذُهبت)، وسيرها إلى الملك بركة، وسير ثبوت نسبه مسجولاً على قاضي القضاة تاج الدين"[٧٧].

وتشير مصادر العصر المملوكي إلى ورود كثير من الرسل من الهند والتكرور وبلاد المغول والعثمانيين وغيرهم من الدول الإسلامية يطلبون من السلطان المملوكي تقليداً بالحكم يكون صادراً عن الخليفة العباسي[٧٨].

هـ - مراكز البطاركة، أرسل الامبراطور البيزنطي في سنة ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م يطلب من الظاهر بيبرس بطركاً ملكانياً ليشرف على طائفة الملكانيين في دولته[٧٩]، وكانت رسل ملوك الحبشة تأتي طالبة من السلطان المملوكي أن يأمر بطرك اليعاقبة بالإسكندرية بتعيين مطران لهم من اليعاقبة الأقباط، وقد وضح ذلك العمري بقوله: " ولولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعمد معمودي إلا باتصال من البطريرك، وأن كرسي البطريرك كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده، وإلا كان شمخ بأنفه عن المكاتبة، لكنه مضطر إلى ذلك"[٨٠].

---

٧٧. ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر:١٣٨.

٧٨. انظر، ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور:٤٦، السيوطي، حسن المحاضرة:٨٥/٢، المقريزي، السلوك: ج٢ ق٣ ص ٦٣٩، ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة: ٣٤٦/٢، ابن اياس، بدائع الزهور: ٢٨٧/٤.

٧٩. انظر: احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام:٢٠٢.

٨٠. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٣٩. وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٠٨/٥، ٣٢٢. المقريزي، درر العقود: ٢١٥/٢.

ويبدو أن السلطان المملوكي قد وظّف حاجة ملوك الأحباش إلى مطران من بطريرك الإسكندرية في خدمة سياسة دولته الخارجية، واتخـذ منها عامل ضغط على ملوك الحبشة، ولذلك نجده يتشدد مع بطـرك الإسكندرية: "فأمر بكتابة إشهاد عليه أنه لا يكتب إلى ملك الحبشة بنفسه ولا بوكيله لا ظاهراً ولا باطناً ولا يولي أحداً في بلاد الحبشـة لا قسيسـاً ولا أعلـى منه ولا دونه إلا بإذن من السلطان ووقوفـه علـى كتابته، وأنه متى خالف ذلك انتقض عهده وضربت عنقه"[٨١].

و- الجالـيات والطوائف الدينية الإسلامية والمسيحية، لقد وجدت جاليات إسـلامية فـي صقلية وبرشلونة والحبشة والقسطنطينية وغيرها من البلاد الواقعة تحت سيطرة ملوك النصارى، وكانت مثل هذه الجاليات تتطلع إلى دولة المماليك حماية لها ورفعاً لما يوقعه الصليبيون بها من فتك وبطش وضيم، فقد أرسل الظاهر بيبرس إلى ملك صقلية يطلب منه عدم الاستمرار في قتل المسلمين المقيمين ببلاده وإلا فإنه سينتقم مـن أسرى الفرنج، ومن طوائف النصارى المقيمين ببلاده[٨٢]، وقد استنجدت الجالية الإسلامية في بلاد الحبشة بالسلطان المملوكي[٨٣] أما الجالية الإسلامية في أشبونة (لشبونة) فقد أرسلت للسلطان المملوكي سـيف الدين إينال (حكم من ٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦١م) بشأن كنيسـة القيامة، وأن النصارى قد ضيقوا عليهم، ولذلك يطلبون رفع الأذى عن النصارى ببلاد السلطان المملوكي[٨٤].

---

٨١. السخاوي، التبر المسبوك: ٢١٠ (سنة ٨٥٢)هـ.

٨٢. انظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٣٠٨.

٨٣. العمري، مسالك الأبصار: ٤/١٧-١٨

٨٤. انظر مؤلف مجهول: مائة وثيقة: ورقة ٥٩و.

ووصـــل إلـــى القاهرة في نهاية القرن التاسع الهجري/ نهاية القـــرن الخامس عشر الميلادي وقبيل سقوط غرناطة آخر معاقل المســـلمين فـــي الأندلـــس _ رسولان يطلبان النصرة من السلطان المملوكـــي، وقد ذكر خبرهما المؤرخ عبدالباسط الغرسي بقوله: " وصل إلى القاهرة اثنان من المغاربة من أهل الأندلس كانا قد توجها إلى بلاد الروم بمكاتبة صاحب الأندلس وعلمائها وأكابرها وأعيانها بالمبايعة لابن عثمان، وأنه ينجدهم، وإلا استولى الفرنج على بلادهم بأســـرها، وذكرا أنهما توجها لبلاد ابن عثمان من جهة بلاد الفرنج فـــي خفية وهما بزي الفرنج حتى خلصا إليه، وأوصلا إليه بالبيعة، وأنه وعدهما بجميل ، وأنه يبعث إليهم بالاصطول والمقاتلة"[٨٥].

ويظهـــر أن سلاطين المماليك كانوا يستجيبون في أغلب الأحيان لرســـائل الجالـــيات الإسلامية، ويتدخلون دبلوماسياً لنصرتهم ورفع المظـــالم عـــنهم، وكـــانوا يـــتخذون من وجود طوائف النصارى ومراكزهم الدينية أداة سياسية يلوحون بها في وجه ملوك النصارى لإنصـــاف المســـلمين والحفاظ على أرواحهم وأموالهم، ففي رسالة بعـــثها الناصـــر محمد بن قلاوون في سنة ٧٠٥هـــ/ ١٣٠٦م إلى الملك حاكم الريدراغون ملك بلنسية وسردانية تجد ما نصه: "وعلمُ الملك محيط بأن جميع النصارى في سائر ممالكنا وبلادنا من جملة رعايانا، وممن يتعين علينا حفظهم والشفقة عليهم، ولو تعرض أحد إلـــيهم بأذية قبلناه (كذا ولعلها: قابلناه) أشد مقابلة ورسمنا بأن يعتمد فـــيه الواجب، وإنما نحن الآن نؤكد على حضرة الملك في الوصية بمـــن فـــي بـــلاده من المسلمين، كما نحن عليه أيضاً من الوصية بالنصـــارى؛ لأنهم رعايانا وأهل بلادنا. وقد جددنا المراسم الشريفة

---

٨٥. عبدالباسط، نيل الأمل في ذيل الدول: ج٢ ورقة ٣٨٠ظ.

الآن بتجديد الوصية بجميع النصارى الذين في ممالكنا إكراماً لسؤال الملك في أمرهم.." (٨٦).

وفي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م أرسل ملك الحبشة رسالة إلى السلطان الظاهر جقمق يوصيه خيراً بالنصارى في بلاده، ويطلب لهم السماح بعمارة ما درس من كنائسهم، أسوة بالإفرنج وملك الكرج الذين رسم لهم بعمارة في القدس الشريف، وأخبر السلطان بأنه رفيق بالمسلمين المقيمين في أرضه(٨٧).

وتدل إحدى الوثائق الصادرة عن ديوان الإنشاء المملوكي في عهد السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م أنه قد استجاب لطلب رئيس دير صهيون بالقدس لعمارة مهد عيسى عليه السلام وسمح بمجيء الصناع، وجلب مواد البناء والعمران من البحر أي من الغرب وإن لم يحدد مصدرها دون دفع أي رسوم للميناء: " والصدقات شملته بمراسيم شريفة وكريمة بتمكينه من عمارة مهد عيسى عليه السلام من الأخشاب والرصاص وغير ذلك، وإحضار الأخشاب والصناع من البحر، والآن فقد حضر المركب بالأخشاب والصناع، ومرسومنا أن يتقدم كل واقف عليه بمنع من يتعرض إليهم في ذلك، أو يقف لهم في

---

٨٦. Maximiliano A. Alarcon Y.Santon Y. Ramon Garcia De Linares, Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De LA Corona De Ragon, (Madride,1940), P.356.

٨٧. انظر: العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ٦٠٤-٦١١ (حوادث:٨٢٤- ٨٥٠، تحقيق: عبدالرزاق القرموط، الزهراء للإعلام العربي،١٩٨٩)، السخاوي، وجيز الكلام: ٥٨٩/٢.

طريق، والوصية بالصناع النجارين والخشابين وغيرهم، ولا يطلب منهم موجب (رسوم) بمينا يافا ولا بباب قمامة بالقدس الشريف ."[٨٨].

وبناءً على ما تقدم من نصوص وثائقية يتبين لنا دور الجاليات والطوائف الدينية الإسلامية والمسيحية في حركة الاتصال الدبلوماسي بين المماليك وغيرهم، وما يقوم عليه ذلك من حاجة إلى الترجمة التي تنظم هذا الاتصال بين الطرفين، وإلى التراجمة الذين يشرفون على تنفيذه في كثير من الأحيان.

---

٨٨. N. Risani, Documenti E.Firmani, PP.82-84.

المبحث الثاني

اللغات والمترجمات

تـدل المصـادر المختلفة التي تمكنّا من الوقوف عليها في أثناء البحث في حـركة الترجمة والتعريب أن ديوان الإنشاء المملوكي قد اضطر نتيجة لعلاقات الدولـة المملوكـية ونشاطاتها المختلفة من دبلوماسية وعسكرية وعلمية ودينية واقتصـادية إلـى الترجمة من وإلى عدد من لغات الشعوب والطوائف والدول القائمـة في ذلك العصر، وكان ديوان الإنشاء يضع الألقاب والأدعية وأساليب المخاطبة اللازمة لذلك، ويحدد نوع الورق الذي يكتب فيه لكل كيان سياسي بما يتناسـب وعقـيدته وقوتـه العسكرية والسياسية ومركزه الاقتصادي، ومكانته بالنسبة للدول المملوكية[٨٩].

أما أهم اللغات التي تمت الترجمة منها أو إليها في ديوان الإنشاء المملوكي فإنها:

- **المغولية**: يبدو أن اللغة المغولية كانت مع بداية التوسع المغولي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لغة شفاهية غير مكتوبة[٩٠]، ثم أمر جنكز خان (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧) أبناء المغول بتعلم الخط الأويغوري، حيـث وصـف لنا عطا ملك الجويني ذلك بقوله: "ووفقاً لرأي جنكز خان

---

٨٩. انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٣٦-٨٤، الحلبي، التبيان في اصطلاح أهل الزمان : ورقة ٦، ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ورقة ٦-١٣، القلقشندي، قلائد الجمان في مصلح مكاتبة أهل الزمان: ورقة ٣٦و٣٩ظ .

٩٠. انظر: بوزورث، الأسر الحاكمة في الإسلام: ٢٠٠ .

ومقتضـــى مراده فقد وضع لكل أمر قانوناً، ولكل مصلحة دستوراً، واستن لكـــل ذنب حداً وعقاباً، ونظراً لأن أقوام التتار لم يكن لهم خط فقد أمر أن يقوم الأويغور بتعليم أطفال المغول الكتابة"[٩١].

وقد أمدنا أحد التراجمة الذين عاشوا في بلاطات المغول والعثمانيين ثم المماليك أخيراً وهو ابن عربشاه (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) بمعلومات جيدة عن هذا الخط، يقول : "وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى أويغور، وهو بالقلم المغولي مشـــهور، وعدتـــه أربعة عشر حرفاً.... وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد، أن حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة، وكذلك تلفظهم بها، ومثل هـــذه الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء، ومثل الزاي والسين والصاد، ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم، ومناشـــيرهم ومكاتيـــبهم، ودفاتـــرهم ومخاتـــيمهم، وتواريخهم وأشعارهم وقصصـــــهم وأخـــبارهم، وســـجلاتهم وأسفارهم، وجميع ما يتعلق بالأمور الديوانية، والتوراة الجنكيزخانية، والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم؛ لأنه مفتاح الرزق عندهم"[٩٢].

ويـــبدو أن الانتصـــارات الســـريعة والساحقة التي حققها المغول أدت إلى انتشـــار هذا الخط وذيوعه، وبلغ من تعصب المغول للغتهم وخطهم أنهم كانوا

---

٩١. السباعي محمد السباعي، عطا ملك الجويني وكتابة جهان كشا: ٢٣٠، وانظر، بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي:٥٥٣.

٩٢. ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور:٤٧٧-٤٧٩. وحول الإيغور وهم قبائل تركية، انظر: إبرار كريم الله، من هم التتار؟: ١٢١-١٢٢، بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٥٤-٥٥٥

وانظر: S.G. Clauson, Turkish and Mongolian Studies. (London 1962). PP 174 -187

يعـــدون تعلمه قمة الفضل والمعرفة[٩٣]، إلا أن خط المغول ولغتهم لم تصبح لغة الشعوب التي قهروها وسيطروا عليها[٩٤].

أما اهتمام ديوان الإنشاء المملوكي والدولة المملوكية باللغة المغولية فقد كان كبـيراً، ولا غرو في ذلك فإن المغول هم العدو الأكبر والأخطر لدولة المماليك، ويـــبدو أن الحاجة إلى مكاتبة المغول والإطلاع على أحوالهم المختلفة، والكشف عـــن بواطن سياساتهم، وما يكون من تحركاتهم هو الذي عمّق معرفة المماليك باللغـــة المغولية واهتمامهم بها، فالعمري رئيس ديوان الإنشاء المملوكي يميز- فـــي موســـوعته الكـــبرى التـــي صنفها للكتاب في ديوان الإنشاء – ألفاظ اللغة المغولـــية مـــن التركـــية، يقـــول : "كوك طاق ومعناه في اللغة المغولية القصر الأخضر؛ لأن القصر عندهم طاق، والأخضر كوك، وهي خلاف التركية"[٩٥].

ويبدو من خلال نص أورده القلقشندي أن خانات القبيلة الذهبية من المغول الذين حكموا في روسيا الجنوبية وغربي سيبيريا ابتداء من عهد بركة وحتى عهد غياث الدين محمد أوزبك (٦٥٥-٧٤٢هـــ/ ١٢٥٧-١٣٤١م) كانوا يكتبون اللغة المغولية بالخط العربي[٩٦].

ومهمـــا يكن من أمر الخط الذي كتب به المغول فإن الرسائل كانت أهم ما ترجم في العصر المملوكي من اللغة المغولية إلى العربية، فقد أشار محيي الدين بن عـــبدالظاهر صـــاحب ديوان الإنشاء المملوكي إلى ورود كتاب من تنامكو ملك مغول القفجاق في سنة ٦٨١هـــ/١٢٨٢م إلى المنصور قلاوون: "وصلت رسل قفجـــاق فقهـــاء، أحدهـــم الفقـــيه مجد الدين أطا ورفقته: نورالدين ورفيق آخر،

---

٩٣. السباعي، عطا ملك الجويني،٢١٥.

٩٤. أبرار كريم الله، من هم التتار؟:٦١.

٩٥. العمري، مسالك الأبصار ٣/٥٧ .

٩٦. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١/١٦٧.

وأحضـــروا مـــن أيديهـــم كتاباً بالمُغلي"[٩٧]، وقد اكتفى ابن عبدالظاهر بتلخيص مضـــمون رسالة تتامكو ولم يذكر لنا الترجمة الكاملة للنص، ولا اسم الترجمان الذي قام بتعريبه، ويبدو أن كثيراً من رسائل المغول إلى ديوان الإنشاء المملوكي كانت تترجم ترجمة مضمونية لم يحرص فيها التراجمة على النقل الدقيق[٩٨].

وقد أوضح العمري في دستوره لديوان الإنشاء المملوكي أن مراسلة مملكة بيـــت بركة المغولي كانت: " إن كتب بالعربي رَسم ما يكتب إلى صاحب إيران كمـــا تقـــدم، وإلا فالأغلـــب أن يكتب إليه بالمغلي، وذلك مما كان يتولاه أيتمش المحمـــدي، وطايـــر بُغا الناصري وأرغداق الترجمان، ثم صار يتولاه قوصون الساقي الناصري"[٩٩].

وتشـــير مصادر العصر المملوكي إلى وجود نص إلياسة أو اليسق المغولي بيـــن أيـــدي أمراء المماليك، وإلياسة لفظة مغولية تعني القانون أو الشريعة التي وضـــعها جـــنكز خان لتنظيم العلاقات بين المغول، ومع أن المماليك قد خضعوا لأحكـــام الشـــريعة الإســـلامية في الأمور الدينية، إلا أنهم كما يذكر المقريزي: "احـــتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكز خان والاقتداء بحكم الياسة، فلذلـــك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم، والأخذ على يـــد قويهـــم، وإنصاف الضعيف منه على مقتضى ما في الياسة، وجعلوا إليه مع ذلـــك الـــنظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات

---

٩٧. عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور: ٤٦.

٩٨. انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدّر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد: ٤٥٢-٤٥٣، ٥٥٠ نشره Biochet في (Patrologia Orientalis, Paris,1919).

٩٩. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٦٢-٦٣.

لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب، وكانت من أجلّ القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الأموال وخراج الأراضي ."[١٠٠].

فنص المقريزي السابق يكشف لنا عن وجود إلياسة بأيدي المماليك من جانب ويشير إلى تأثر المماليك بالنظم الإدارية والإقطاعية المغولية من جانب آخر ولا سيما أن بعض المؤرخين قد أشار إلى تأثر المماليك بطريقة جنكز خان في الحكم والإدارة[١٠١].

ولّما كانت إلياسة مكتوبة في أصلها باللسان المغولي وبالأبجدية الأويغورية[١٠٢]، وكان بين المماليك من يجيدون اللسان والخط المغولي، فإنه يمكن القول: إنهم كانوا يقومون بترجمة نصوص هذا القانون المغولي (إلياسة) إلى التركية أو العربية عند الحاجة إلى ذلك.

- **الفارسية أو الفهلوية**: تُعدُّ الفارسية من أكثر اللغات وأقدمها علاقة باللغة العربية وذلك بحكم مجاورة العرب للفرس، ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره في أرض فارس بدأت الفارسية بالتراجع أمام العربية، وفقدت مركزها الكتابي في إدارة الخراج ومالية الدولة سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م في البصرة والكوفة، وفي خراسان سنة ١٢٤هـ/٧٤١م[١٠٣]، ولم تعد الفارسية لغة رسمية منذ ذلك الحين إلى أن تم إحياؤها لغة أدبية على يد السامانيين الذين حكموا في خراسان وما وراء النهر في النصف الثاني من القرن

---

١٠٠. المقريزي المواعظ والاعتبار:٢/٢٢١.

١٠١ .انظر السيوطي، حسن المحاضرة: ٢/١٣٣

١٠٢. بارتولد، تركستان:١١٣-٥٥٩،١١٤ .

١٠٣. انظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب:٣٨، ٦٧.

الثالث الهجري وطوال القرن الرابع الهجري، وذلك عندما ضعفت الدولة العباسية[١٠٤].

وبدأت حركة ترجمة المؤلفات العربية إلى الفارسية في عهد السامانيين، فترجم البلعمي تاريخ الطبري وتفسيره إلى الفارسية[١٠٥]، وشجع نوح بن منصور الساماني الشاعر الدقيقي في القرن الرابع الهجري على نظم الشاهنامه وهي الملحمة الفارسية القومية، ثم أتمها الفردوسي (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥) وقدمها للسلطان محمود الغزنوي[١٠٦].

وزاد الاهتمام بالفارسية بظهور السلاجقة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد كتب السلاجقة في فارس وثائقهم ومراسلاتهم باللغة الفارسية مما عزز مكانتها وانتشارها[١٠٧]، ولذلك فإن اللغة الفارسية قد رسخت في مشرق العالم الإسلامي قبل مجيء المغول بثلاثة قرون في الأقل، واقتلعت العربية من مواقع كثيرة؛ ومن هنا فإن حضور الفارسية في الأراضي التي اجتاحها المغول كان أكبر من حضور العربية[١٠٨]، بل إن المغول بفارس والعراق كانوا يكتبون بالمغولية والفارسية، وقد وصف لنا القلقشندي ذلك في القرن التاسع الهجري قائلاً: "ثم انقرضت الخلافة في بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة ست وخمسين وستمائة، واستولت المغل والأعاجم على بغداد، بطل رسم الكتابة المعتبرة، وصار أكثر ما يكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية؛ والأمر على ذلك إلى زماننا" [١٠٩].

---

١٠٤ السباعي، عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشا:٤٧-٤٨.

١٠٥. انظر براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي:١٣٢.

١٠٦. انظر: الفردوسي، الشاهنامة ٣٧/١، ٥٤،٦٧

١٠٧. السباعي، عطا ملك الجويني وكتاب جهان كشا:٥٠.

١٠٨ .انظر كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية:٢٥٧

وانظر E.G Browne Aliteray History of Persia, (Cambridge,1964) Vol.III P.62.

١٠٩. القلقشندي صبح الأعشى٩٤/١.

أما المترجمات من الفارسية إلى العربية فإنها:

أ- الرسائل المتبادلة بين المغول والمماليك ولا سيما أن بعضاً منها كان يرد بالفارسية أحياناً، ويبدو أن هذا النمط من الرسائل المكتوبة عن المغول بالفارسية كان منذ أيام المغول الإلخانيين حكام فارس والعراق وحتى عهد التيموريين في القرن التاسع الهجري، وقد حفظ شرف الدين علي يزدي في كتابه "ظفرنامه" بعضاً من هذه المراسلات المكتوبة بالفارسية التي أرسلها تيمورلنك في نهاية القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري إلى سلاطين المماليك(١١٠).

ب- الشاهنامة وهي ملحمة الفرس الخالدة التي نظمها الفردوسي بالفارسية وقدمها للسلطان محمود الغزنوي في مطلع القرن الخامس الهجري، وقد قام قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني بترجمتها إلى العربية بدمشق سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، وقدمها للسلطان الملك المعظم (ت ٦٢٤هـ /١٢٢٦) إلا أن هذه الترجمة العظيمة القدر قد بقيت ناقصة، ذلك أن البُنداري قد حذف بعضاً من فصولها ومدائحها ورسائلها(١١١)، ويبدو أن نقص هذه الترجمة هو الذي جعل نائب الشام الأمير تنكز يطلب من أحد التراجمة منادمته بهذه الملحمة الخالدة من ناحية، كما أن السلطان الغوري أمر بترجمة الشاهنامة من الفارسية إلى التركية من ناحية أخرى(١١٢).

---

١١٠. انظر: حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية: ١٦٥-١٧٥.

١١١. انظر: الفردوسي، الشاهنامة: ١/٩٨-٩٩

١١٢. انظر: الغوري، مجالس السلطان الغوري: ١/٤٥-٤٧.

ج- مرزبان نامه، وهو كتاب ألّفه مرزبان بن رستم بن شروين- أمير طبرستان - في أواخر القرن الرابع الهجري، ويذكر بروكلمان: أن أصل هذا الكتاب كان " باللهجة الإيرانية المحلية لطبرستان، ثم نقله سعد الدين الوراويني في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى الفارسية الحديثة، ثم ترجمه ابن عربشاه إلى اللغة العربية[١١٣].

د- إلياسا أو إلياسة التي نقلها إلى الفارسية عطا ملك الجويني (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وهو حاكم بغداد زمن هولاكو، وذلك في كتابه "جهان كشا" وعطا ملك الجويني أحد المصادر الرئيسية للعمري رئيس ديوان الإنشاء المملوكي في موسوعته "مسالك الأبصار" التي يظهر من خلال تتبع نصوص إلياسة الواردة فيها أن العمري كان يعتمد على نص مترجم منها في ديوان الإنشاء المملوكي على كتاب عطا ملك "جهان كشا"[١١٤].

هـ- المؤلفات التاريخية والسياسية وغيرها، لقد حرص المماليك على معرفة تواريخ المغول وأنسابهم ودولهم وأنظمتهم الإدارية العسكرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لذلك فإن أحد الأمراء المماليك التراجمة وهو سيف الدين أوتامش الأشرفي وصف بأنه: "يعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم ويستحضر تواريخهم ووقائعهم"[١١٥] ، ويبدو أن كُتاب ديوان الإنشاء المملوكي كانوا يشجعون على ترجمة كل ما يتعلق بالمغول وأخبارهم إلى العربية، ولذلك وجدنا أحد كبار كتاب المغول وهو رشيد الدين الهمذاني

---

١١٣. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، القسم السادس : (١٠-١١) ص ١٠٧.

١١٤. انظر العمري، مسالك الأبصار:٣/٤٠-٤٧، وقارن بما ترجمه السباعي محمد السباعي، عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشا: ٢٢٨-٢٣٧.

١١٥. الصفدي، أعيان العصر ٢٠٩/١

(ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) الذي خدم في بلاط المغول قرابة خمسين عاماً، وكان محيطاً بالفارسية والعربية والمغولية والعبرية - يأمر بترجمة مصنفاته من الفارسية إلى العربية[١١٦].

- **التركية**: يلاحظ القارئ لمصادر العصر المملوكي أن بعضاً من مؤلفيها يطلقون على الفترة المملوكية اسم الدولة التركية وذلك لغلبة العنصر التركي الذي يعود كثير منه إلى منطقة القبجاق[١١٧] الواقعة جنوب روسيا عليها كما مرّ بنا، إلا أن العلاقة بين العرب والأتراك، وحضور الجنس التركي في البلاد العربية بدأ منذ مطلع القرن الثالث الهجري عندما أكثر الخليفة العباسي المعتصم من استجلاب الجنس التركي.

ومع مضي العصر العباسي ازداد النفوذ التركي، وظهر السلاجقة في فارس والعراق والشام على مسرح الأحداث في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتمكنوا من هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذ كرد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م في بلاد الأناضول[١١٨] مما كان له أكبر الأثر في اللغة التركية، حيث ألفّ محمود بن الحسين الكاشغري معجمه الموسوم بـ "ديوان لغات الترك" وقدمه للخليفة العباسي المقتدي بأمر الله الذي حكم من سنة ٤٦٧-٤٨٧هـ/ ١٠٧٤-١٠٩٤م.

وديوان لغات الترك من المعاجم المشتركة (تركي/عربي)، ويستدل مما ذكره الكاشغري في مقدمته على تقديم الأتراك وتقريبهم لمن يتكلم بلسانهم: "ولا ذريعة لديهم أحسن من التّراطن بلسانهم، لإصغائهم إليه أسماعهم، واستمالة جَنانهم وضعت كتابي هذا مستعيناً بالله تعالى، موسّماً بديوان لغات الترك

---

١١٦. انظر، الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ المغول): م٢، ج١، ص ١٧١ ١٧٢، بارتولد، تُركستان: ١٢٠ .

١١٧. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٢/٢٣٦-٢٤١

١١٨. بوزورث، الأسر الحاكمة في الإسلام: ١٦٧-١٦٩.

لـيكون ذكـراً مخلّـداً وذُخـراً مؤبداً، برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشـمية العباسـية سيدنا ومولانا أبي القاسم عبدالله بن محمد المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين... "[١١٩]

ويظهـر أن اللغـة التركية قد حققت كسباً كبيراً بتدوين أول معجم فيها مما عمّق جذورها في نفوس متكلميها والكاتبين بها، ولذلك فإننا نجد نشاطاً في حركة تأليف المعاجم المشتركة بين العربية والتركية حتى من كبار النحويين عند العرب أمـثال أبـي حـيان الأندلسي في العصر المملوكي الذي جاء في مقدمة معجمه الموسـوم بـ "الإدراك للسان الأتراك" : "والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة عالية من لسان الترك لغة وتصريفاً ونحواً، وقد ضبطت هذا اللسان حرفاً حرفاً، ورتّبت الكلام في اللغة على حروف المعجم باللسان التركي فأذكر اللفظة التركية وأتبعها بمرادفها من اللغة العربية...."[١٢٠].

ولا يتسع هذا البحث إلى استقصاء المعاجم المشتركة بين العربية والتركية، وإنمـا أريد التنبيه على معجم القونوي الذي جاء في مقدمته ما نصه:"اعلم وفقك الله أن اللسـان التركـي القفجاقـي الخالص عارٍ من ثمانية حروف وهي: الثاء والحـاء والخـاء والضاد والظاء والعين والفاء والهاء، فإن سمعت كلمة تتضمن بعـض هـذه الحـروف فاعلم أنها ليست من اللغة التركية الخالصة، وأنها كلمة مسـتعارة مـن غيرها، وقد عينّت ما وقع الخلف فيه بين اللغة التركية الخالصة وبين اللغة التركمانية..."[١٢١].

وورد فـي مقدمة معجم جمال الدين أبي محمد عبدالله التركي- المسمى بـ "لغـة المشـتاق في لغة الترك والقفجاق" - ما نصه: "أما بعدُ فهذا ترجمان اللغة التركـية اخـترته مـن الأنـوار المضـيّة؛ تأليف علاء الدين بيليك القفجاقي،

---

١١٩. الكاشغري، ديوان لغات الترك: ١/٢-٤

١٢٠. أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك ٥-٦.

١٢١. M.The Houtsma, EinTurkisch-Arabishes Glossar, (Leiden,1849)P.2

والصـــحيح من الدُّرة المضيَّة تأليف عماد الدين داود بن علي بن محمد الوراق المصريّ، وزدتُ على ما عندهما أشياء كثيرة "[١٢٢].

ويـــبدو أن لغة القفجاق قد احتلت مكانة هامة بين أسرة اللغات التركية؛ لأن معظـــم ســـلاطين المماليـــك فـــي الدولـــة التركـــية البحرية هم من القفجاق أو القـــبجاق[١٢٣]، كما أن هذه اللغة أصبحت لغة رسمية لدولة خانات القبيلة الذهبية من المغول[١٢٤].

ويتضح من خلال إشارات مصادر العصر المملوكي إلى السفارات المتبادلة بيـــن المماليـــك والدول والإمارات ذات اللغة التركية أن عدداً وافراً من الرسائل المكـــتوبة بالتركية قد وردت على ديوان الإنشاء المملوكي أو صدرت عنه، ففي حديـــث ابـــن عـــبد الظاهـــر عـــن رســـل مملكة بركة خان العائدين في سنة ٦٦٢هـــ/١٢٦٣م إلى بلادهم بعد أن أدوا رسالة إلى السلطان المملوكي الظاهر بيـــبرس إشارة إلى أن السلطان المملوكي قد ردّ على رسالتهم، وحمّل رسله إلى بـــلاط بركة خان رسالة باللغة التركية: " وقُرئ كتاب السلطان بالتركي على من عنده وفرحوا به، وأعاد الرسل بجوابه، وسير معهم رسله"[١٢٥].

---

١٢٢. A.Zajaczkowski, Bulgat Al Mustaq Fi Lugat AL-Turk Wa-L Qifzaq (warszwa,1958) PP1-2

وانظر A.Zajaczkowski, Note Complementari Sulla Lessicografzia arabo turca nell epoca dello Stato Mamelucco,PP 149-160.

١٢٣. انظر: شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر:٢٦٤.

١٢٤. انظر بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى:١٧٠؛ وانظر كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية : ٢٥٦-٢٥٨.

١٢٥. ابن عبدالظاهر: الروض الزهر:٢١٧، وانظره: ١٥٤-١٥٧؛ وانظر حول الرسائل المتبادلة مع الأتراك ورسوم مكاتباتهم من ديوان الإنشاء المملوكي : العمري، مسالك الأبصار:٣٩/٢ وما بعدها؛ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف :٤٩-٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى:١٤/٨-٢٠.

ويظهر من خلال الوثائق التي جمعها فريدون بيك ودونها في كتابه الضخم "مجموعة منشئات السلاطين" أن عدداً كبيراً من الرسائل المتبادلة بين المماليك والعثمانيين كان مكتوباً باللغة العربية[١٢٦].

وتجد الإشارة إلى أن بعضاً من المؤلفات التاريخية والفقهية والأدبية قد نقلت بأمر من سلاطين المماليك من اللغة العربية إلى اللغة التركية[١٢٧].

-**العبرية**: بيّن القلقشندي في حديثه عن الألقاب المصطلح عليها عند صدور المكاتبات من ديوان الإنشاء المملوكي إلى غير المسلمين بقوله: "واعلم أن ملوك الكفر المكاتبين عن هذه المملكة جميعهم نصارى: من الروم، والفرنج، والكرج والحبشة وغيرهم؛ إذ كانوا هم المستولين على أكثر الممالك؛ أما اليهود، فإنهم لم يبق لهم مملكة معروفة، بل هم تحت الذّمة أين كانوا"[١٢٨].

وقد تسامحت الدولة المملوكية مع رعاياها من اليهود، وسمحت لهم بالتنقل والسفر والمتاجرة وإقامة مركز علمي بالقدس لقراءة كتابهم وتفسيره[١٢٩].

ولمّا كان ديوان الإنشاء المملوكي هو المؤسسة الإدارية المسؤولية عن تنظيم علاقات الدولة مع رعاياها من مختلف الطوائف والملل فإن ديوان الإنشاء أصدر وصاياه لرئيس طائفة اليهود، ورئيس السامرة تبياناً لصلاحيات رؤساء هذه الطوائف ومهامهم ومسئولياتهم[١٣٠].

---

١٢٦. انظر فريدون بيك، مجموعة منشئات السلاطين ١/١١٦، ١٢٠، ١٤٥-١٤٦، ١٦٤-١٦٥؛ ١٩٥.

١٢٧. انظر : السخاوي، الضوء اللامع: ١٠/١٣١-١٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:١٥/١١٠؛ الغوري، مجالس السلطان الغوري: ١/٤٥-٥٧.

١٢٨. القلقشندي، صبح الأعشى:٨/٢٥، وانظره:٦/٧٨.

١٢٩. انظر: علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي:١٦٧-١٦٨.

١٣٠. انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف:٢٠٢-٢٠٤.

وعلاوة على ذلك يظهر أن ديوان الإنشاء كان بحاجة إلى معرفة دقيقة فيما يتعلق بتواريخ اليهود وعقائدهم وأنبيائهم، ولذلك أمرَ رئيس ديوان الإنشاء، والمقنن لمصطلحه وهو ابن فضل الله العمري بإحضار أحد علماء العبرية العارفين بها وطلب منه ترجمة سفري القضاة والملوك(١٣١).

-**اليونانية أو الرومية**: وكانت الكتب الواردة على ديوان الإنشاء المملوكي باليونانية مرسلة من ملوك الروم وأكبرهم صاحب القسطنطينية الذي كان يعبر عنه أحياناً باسم الأشكري أو اليشكري وهو تحريف للاسم لسكريس(١٣٢).

ويظهر أن العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والبيزنطيين كانت متينة، وترددت الرسل بين الطرفين منذ أيام الظاهر بيبرس وحتى سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في منتصف القرن التاسع الهجري تقريباً(١٣٣).

أما أهم ما عرّب عن اللغة اليونانية إلى العربية فهو المعاهدات وما يتعلق بها من أيمان يحلف عليها المتعاهدان، فقد وردت نسخة يمين من ملك القسطنطينية في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م وتم تعريبها في الديوان(١٣٤).

ومن المعربات عن اليونانية إلى العربية الرسائل التي تضمنت معنى توكيد الصداقة بين البيزنطيين، وما يدخل في إطارها من تأمين للتجارة، ورعاية للأماكن المقدسة، وتبادل الهدايا، وقد حفظ لنا القلقشندي واحدة من هذه الرسائل

---

١٣١. انظر:العمري، مسالك الأبصار:٢/٢٥

١٣٢. انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى :٨/٢٥، ١٢١؛ ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر:٨٨ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف:٦٨-٦٩.

١٣٣. انظر أحمد مختار العبادي: قيام الدولة المملوكية الأولى في مصر والشام:٢٠٢؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة: ٣/٤٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:١٤/٢٨٧.

١٣٤. انظر: ابن الفرات،تاريخ ابن الفرات: ٧/٢٢٩-٢٣٣.

المعـــربة التـــي قـــام بترجمـــتها من اللغة اليونانية إلى العربية بطرك الملكانية بحضور سيف الدين الترجمان في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م [١٣٥].

-**اللغة الفرنجية:** اصطلح مؤرخو ديوان الإنشاء المملوكي على وصف المكاتبات الواردة من فرنج الساحل الشامي والجنويين والبنادقة والقشتاليين والبيازنة والفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين بأنها مكتوبة، "باللسان الفرنجي وقلمـــه"[١٣٦]، وتكـــون مـــثل هذه الكتب مختومة، فإذا ورد كتاب منها إلى السلطان المملوكي "فك ختمُه"، وترجم بترجمة الترجمان بالأبواب السلطانية، وكتب تعريبه في ورقة مفردة، وألصقت به"[١٣٧].

والمعروف أن اللغة السائدة بين الصليبيين في الساحل الشامي بوجه عام هي الفرنسية، ولكن مع ذلك استخدمت كل أقلية صليبية لغتها الخاصة بها[١٣٨]، وأن اللغـــة الســـائدة فـــي الجمهوريات الإيطالية، وفي إسبانيا القشتالية، وفي فرنسا الفرنســـية، فهل يعني ذلك أن الكتب كانت ترد إلى ديوان الإنشاء المملوكي بكل هـــذه اللغـــات مع أن مصادر ديوان الإنشاء المملوكي تحدثت عن لسان إفرنجي واحد؟.

يـــبدو أن مصطلح اللسان الفرنجي، مصطلح عام يطلق على اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات الأوروبية: الفرنسية والإيطالية والإسبانية[١٣٩].

---

١٣٥. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢١/٨.

١٣٦. المصدر السابق :١٢٣/٨.

١٣٧. المصدر السابق ١٢٣/٨.

١٣٨. انظر: سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية:٤٨٢/١.

١٣٩. انظر: J.Wansbrough, Venice and Florence In The Mamluk Commerical Privilleges
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol, XXVIII (1965) P.487.

وانظر : أحمد دراج: " الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية (مصر الاسلامية)"، بحث منشور ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، دار الكتب القاهرة، ١٩٧٠م: ص ١٢٦.

أما أهم ما ترجم عن اللسان الفرنجي فإنه على النحو الآتي:

أ- التقارير الاستخبارية، فقد ذكر شافع بن علي صاحب سيرة المنصور قلاوون أن أحد عيون المماليك بعكا وهو جوان خَنْدَق، كتب إليه أن أحد أمراء المنصور قلاوون هو كوندك قد كتب إلى مقدمي الإفرنج بعكا بأنه عازم على قتل قلاوون، فعندما وصلت رسالة الجاسوس جوان إلى قلاوون:"رسّم(احتجز) الصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب الديوان على التراجمة، وهم: السابق والاسبتاري كاتب الانبرطور بحيث لم ينفس لهم في الاجتماع بأحد من خلق الله تعالى خيفة أن يشيع هذا الخبر" (١٤٠).

ب- الهدن، ومثال ذلك الهدنة التي وقعها المنصور قلاوون مع الجنوية، وقد حررت فصول هذه المعاهدة:"في يوم الأحد ثاني جمادى الأول، سنة تسع وثمانين وستمائة وقرأ ما فيها من القلم الفرنجي المنقول إلى العربي شمس الدين عبدالله المنصوري، وترجم عليه لتحقيق التعريب، والشهادة بصحته سابق الدين الترجمان، وعزّ الدين أيبك الكبكي الترجمان في التاريخ المذكور"(١٤١).

ج- الأيمان، وهي مستعلقة بالهدن والموادعات التي تقع بين المالبك والفرنج وعادة ما يقوم التراجمة بترجمتها، ثم يحلف عليها الرسل الموفدون من القرنج، وتؤخذ خطوطهم عليها بحضور الأساقفة(١٤٢).

---

١٤٠. شافع بن علي، الفضل المأثور: ورقة ٥٩ظ ٦٠و.

١٤١. ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور: ١٦٨.

١٤٢ انظر: المصدر السابق: ١٦٨.

د- **الرسائل** المتعلقة بموضوعات تجارية أو سياسية أو دينية كرسالة:"دوج البنادقة ميكائيل على يد قاصده نُقولا البندقي في سادس عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سنقر، وسيف الدين سودون، التراجمة بالأبواب الشريفة"(١٤٣).

هـ- **المعاهدات التجارية** الموقعة بين المماليك والبنادقة والجنويين والفلورنسيين(١٤٤).

-**الحبشية**: تدل ملاحظات العمري والمقريزي والقلقشندي وكلهم من ذوي العلاقة بديوان الإنشاء المملوكي على معرفة دقيقة بهذه اللغة ولهجاتها المختلفة فالعمري يذكر عن الأحباش:"مع كونهم جنساً واحداً ينطقون بألسنة شتى تزيد على خمسين لساناً، وقلمُ قرائتهم واحد وهو الحبشي، يكتب من اليمين إلى الشمال، عدته ستة عشر حرفاً، وكل حرف سبعة فروع، الجملة من ذلك مائة واثنان وثمانون حرفاً خارجاً عن حروف أخر مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المعدودة المتقدم ذكرها، مضبوط بحركات نحوية متصلة به لا منفصلة عنه" (١٤٥).

---

١٤٣. القلقشندي، صبح الأعشى:٨/١٢٣.

١٤٤ انظر: Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorention, PP.185-225

وانظر سمير الدروبي:" من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٠، السنة ١٩٩٦م: ص ٧٤.

١٤٥. العمري، مسالك الأبصار : ٤/٢٥؛ وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى:٥/٣٠٥؛ المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام:١٤ (طبعة أوروبا).

وعلى الرغم من هذه المعرفة بألسنة الحبش المتعددة وقلمهم الواحد إلا أن القلقشندي لم يوضح لنا اللسان الذي كتب به الأحباش للمماليك، يقول:"الكتب الواردة عن ملوك الحبشة، والعادة فيها أن ترد في قطع باللسان"(١٤٦).

ولكن يظهر أن الأحباش كانوا يرسلون رسائلهم إلى المماليك باللغة الحبشية التي حفظ لنا ابن عبد الظاهر بعضاً منها بعد ترجمتها من الحبشية إلى العربية(١٤٧)، كما أشار ابن إياس في حوادث سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م إلى وفاة "يحيي بن شاد بك المعروف بقاصد الحبشة، أحد أجناد الحلقة، وكان ريساً حشماً عارفاً بلغة الحبش(١٤٨)، مما يدل على وجود قاصد(سفير) عند المماليك لديه الخبرة التامة بلغة الأحباش، يضاف إلى ذلك ملاحظة المقريزي عن مسلمي الزيلع الذين تكلموا بالعربية والحبشية(١٤٩). من جانب، وملاحظة الرحالة سورينو عن لغة طائفة الرهبان الأحباش المقيمين بالقدس الشريف في العصر المملوكي من جانب آخر(١٥٠).

- **لغة التكرور**: فعلى الرغم من العلاقات الثقافية والدينية والاقتصادية الوطيدة بين المماليك والتكرور(١٥١) إلا أن المصادر لم تذكر معلومات موضحة عن لغة التكرور عامة أو عن لغة مراسلاتهم مع المماليك بشكل خاص، إلا أن هناك إشارات إلى وجود ترجمان للغة التكرور في الدولة المملوكية (١٥٢).

---

١٤٦. القلقشندي، صبح الأعشى:٨/١١٩.

١٤٧. ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور:١٧٠-١٧٣.

١٤٨ ابن إياس، بدائع الزهور: ٣/٢٠٦.

١٤٩ المقريزي ، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام:٩-١١.

١٥٠ انظر: Suriano, Treatise on the Holy Land,P.90.

١٥١ انظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٣٥-٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٨/١١٥-١١١.

١٥٢. انظر: المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك:١١٢-١١٣، وانظر: Levtzion, "mamluk Egypt and Takrur (west Africa)" P. 184.

وخـــتاماً فإن حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي قد أدت دوراً إيجابـــياً كبيراً، حيث ساهمت هذه الحركة في وقف زحف اللغات الأعجمية علـــى اللغـــة العربـــية، التي فقدت مكانتها لغة علمية وإدارية في مشرق العالم الإسلامي حتى العراق نفسه الذي يُعد من أمنع حصون العربية تلاشت هذه اللغة عـــنه تمامـــاً، وذلـــك ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله:"وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخرسان وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم... وأما في ممالك العـــراق وما وراءه فلم يبق لها أثر ولا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسه في المجالس" [١٥٣].

وقـــد بقـــي كثـــير من سلاطين المماليك وأمرائهم مخلصين للغتهم التركية مقدميـــن لمـــن يعرفها ويتكلم بها[١٥٤]، بل إن بعضاً من سلاطينهم: "كان فصيحاً باللغة التركية وباللغة العربية لا بأس به" [١٥٥].

وفـــوق ذلـــك فـــإن الهجـــرة الجماعية لطوائف المغول والأكراد والأتراك والجراكسة لأرض الدولة المملوكية كانت خطراً على العربية، مما حدا بكثير من اللغويين إلى التباري في تأليف المعاجم الأعجمية[١٥٦].

وفي ضوء ما تقدم فإن الباحث يدرك أهمية حركة الترجمة والتعريب، ولولا ذلـــك لتغلبـــت لغة الأتراك على العربية، وتحولت لغة الإدارة والحكم إلى اللغة التركية.

---

١٥٣. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون :٣٨٠.

١٥٤. انظر ابن إياس، بدائع الزهور:٣٧٤/٤، ٨٨/٥-٨٩.

١٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:٤٥٨/١٥.

١٥٦. انظر ابن منظور، لسان العرب (المقدمة).

وقــد ساهمت حركة الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي في نقل كثيرٍ من مصــطلحات الكتابة وأساليبها ومصطلحاتها العربية إلى دواوين الإنشاء المغولية والتركية[١٥٧] والفارسية[١٥٨].

---

١٥٧ . انظر: فريدون بيك، مجموعة منشئات السلاطين: ١/١٩٠-٢١٤، ٢٣٨-٢٤٤، ٣٢٧:
وانظر: سامي، قاموس تركي: ٢٤/١، ٣٨، ٧٢، ٨٤، ٩٤، ١١١، ١٢١، ١٣٦-١٣٧، ١٤٠، ١٥٧، ١٦٦، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤١٥، ٤٤٦، ٦٦٢، ٤٤٤، ٦٧٨، ٧٠٨، ٧١٠، ٧٢٤، ٤٥٧، ٧٧٨: ٨٣٠/٢، ٨٧٨، ٩١٠، ٩٢٨-٩٢٩، ٩٤٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ١٠٠٥، ١٠٢٤، ١٠٢٨، ١٠٤١، ١١٣٦، ١١٣٩، ١١٢٤، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٩٨، ١٣٢٤، ١٣٣٣، ١٣٤١، ١٣٥٦، ١٣٥٨، ١٣٦٢، ١٢٦٢، ١٣٦٨، ١٣٧٣، ١٣٨٩، ١٣٩٤، ١٤٠٢، ١٤٠٤، ١٤٠٧، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤٢٨، ١٤٣١، ١٥٤٨.

١٥٨. انظر حسن أنوري، اصطلاحات ديواني:٣٢،٣٢، ٣٣، ٥٦-٥٧، ٩٢-٩٣، ١٣١، ١٣٥، ١٤١-١٨١..

فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع (العربية والفارسية والتركية)

- **من هم التتار؟** ترجمة: رشيدة رحيم الصبروتي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

أحمد دراج:

- **المماليك والفرنج**. ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١م.

- **الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية (مصر الإسلامية)**"، بحث منشور ضمن : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

أحمد مختار العبادي:

- **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام** . دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦.

آشتور. أ:

- **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**. ترجمة": عبدالهادي عبلة، ط١، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق محمد مصطفى، ط٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤م.

بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش:

- **تـــاريخ الترك في آسيا الوسطى**. ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو، المصرية القاهرة، ١٩٥٨م.

- **تركســـتان مـــن الفتح العربي إلى الغزو المغولي**. نقله عن الروسية صـــلاح الديـــن عـــثمان هاشم،ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٨١م.

الباز العريني:

- **المماليك**. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م.

بروكلمان، كارل:

- **تـــاريخ الأدب العربـــي**، القسم السادس (١٠-١١). نقله إلى العربية: حسن محمود.

بور، آيلين:

- **نمـــاذج بشرية من العصور الوسطى**. ترجمة : محمد توفيق حسين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م.

بوزوث، كليفورد :

- الأســـر الحاكمـــة فـــي الإسلام. ترجمة: حسين علي اللبودي، ط١، مؤسسة الشراع، الكويت، ١٩٩٤م.

بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

- **زبدة الفكرة**، مخطوط المتحف البريطاني رقم (٣٣٢٥).

ابـــن تغـــري بـــردي، جمـــال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـــ/١٤٦٩) م:

- **حـــوادث الدهـــور في مدى الأيام والشهور**. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط١، عالم الكتب بيروت ، ١٩٩٠م.

- **المنهل الصافي والمستوفي على الوافي** (١-٦) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- **الـــنجوم الزاهـــرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـــ/٩٤٢م):

- **الـــوزراء والكـــتاب**. تحقـــيق: مصـــطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، ط١، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.

ابن حبيب الحلبي، حسن بن عمر (ت ٧٧٩هـــ/١٣٧٧م):

- **تذكـــرة النبـــيه في أيام المنصور وبنيه**. تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٦ - ١٩٨٦م.

ابن **حجر العسقلاني**، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢-هـ /١٤٤٨م):

- **إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر**. تحقيق: حسن حبشي، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- **الـــدرر الكامـــنة فـــي أعيان المائة الثامنة**. تحقيق : محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسن أنوري:

- **اصطلاحات ديواني**، إيران، بلا تاريخ.

حكيم أمين عبد السيد:

- **قيام دولة المماليك الثانية**. دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- **الحلبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد** (ت ق٩هـ/ق ١٥م)

- **التبـــيان في اصطلاح أهل الزمان**. مخطوط مكتبة الدولة ببرلين رقم (٨٦٤١) .

- **أبو حيان الأندلسي**، محمد بن يوسف (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٢م):

-**الإدراك للسان الأتراك**. اسطنبول، ١٩٣١م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (ت ق ٩ هـ/١٥م):

- المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الانشا. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

رنسيمان، ستيفن:

- **تـــاريخ الحـــروب الصليبية**. ترجمة السيد الباز العريني، ط٣، مكان النشر غير مذكور، ١٩٩٣م.

سامي. ش:

- **قـــاموس تركـــي**: (كافـــة لغـــات تركية آيلة تركيده مستعمل كلمات واصـــطلاحات عربية وفارسية وأجنبية يي أوك رق لسانمزك مكمل لغت كتابيدر).

معارف نظارت، اسطنبول ، ١٣١٧هـــ.

السباعي، محمد:

- **عطـــا ملـــك الجويني وكتابه جهان كشا**. ط١، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١م.

السخاوي، شمس الدين عبدالرحمن (ت٩٠٢هـــ/ ١٤٩٦م):

- **التبر المسبوك في ذيل السلوك**. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بلا تاريخ.

- **الذيـــل على رفع الإصر**. تحقيق : جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـــ.

- **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام** . تحقيق: بشار عواد وعصام الحرستاني وأحمد الخطيمي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٥م.

سعيد عبدالفتاح عاشور:

- **الحركة الصليبية**. ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

سمير الدروبي:

- " **من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٠، السنة العشرون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦مم.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥):

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

شافع بن علي الكناني (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م):

- **حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية**. تحقيق : عبدالعزيز الخويطر، ط٢ ، الرياض، ١٩٨٩م.

- **الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور**. مخطوط مكتبة البودليان، مجموعة مارش رقم (٤٢٤).

ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):

- زبـدة كشـف الممالك وبيان الطرق والمسالك. المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ /١٢٨٠م):

- **تـاريخ الملك الظاهر**. تحقيق: أحمد حطيط، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٨٣م.

شـيخ الـربوة الدمشـقي، محمـد بـن أبـي طالـب الأنصـاري (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):

- **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**. طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ.

صبحي لبيب:

- "**التجارة الكارمـية وتجـارة مصر في العصور الوسطى**"، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع العدد الثاني، ١٩٥٢م.

- "**الفـندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية**"، نشر ضمن كتاب: مصر وعـالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط١، دار الفكر للدراسات، القاهرة باريس ١٩٨٦.

الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت ٦٧٣هـ /١٣٦٧م):

- أعـيان العصـر وأعوان النصر. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفـندي رقـم (١٨٠٩)، منشـورات معهـد تـاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٠م.

- **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

- **نَكت الهميان في نُكَت العميان**. وقف على طبعه: أحمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة ١٩١١م.

- **الوافي بالوفيات**. تحقيق: هلموت ريتر وآخرون، فرانز شتاير بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦م.

عبدالباسط، زين الدين عبدالباسط الغرسي (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م):

- **نيل الأمل في ذيل الدول**. مخطوط البودليان باكسفورد رقم (٢٨٥)، (٦١٠).

ابن عبدالظاهر، محيي الدين عبدالله (ت ٦٩٢هـ /١٢٩٢م):

- **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**. تحقيق: مراد كامل ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القاهرة ١٩٦١م.

- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**. تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٩٧٦م.

عبدالمنعم ماجد:

- **العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، بيروت ١٩٦٦م.

ابن عربشاه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م):

- **عجائب المقدور في نوائب تيمور**، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

علي السيد علي:

- **القدس في العصر المملوكي**، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة باريس ١٩٨٦م.

العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- **التعريف بالمصطلح الشريف**. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٢م.

- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. مخطوط أحمد الثالث، طوبقا بوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).

العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٤٩هـ/١٤٥١م):

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ) تحقيق: عبدالرزاق القرموط، مطبعة علاء، القاهرة ١٩٨٥م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ ٨٥٠هـ) . تحقيق : عبد الرازق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٨٩م.

الغوري، الأشرف قانصوه (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م):

- **مجالس السلطان الغوري** . تحقيق: عبدالوهاب عزام، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١م.

الفاسي، محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م):

- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. ط١، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٩م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

- **تاريخ ابن الفرات**. عني بتحرير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.

الفردوسي، أبو القاسم منصور (ت ٤١٦هـ /١٠٢٥م):

- **الشاهنامه**. ترجمة الفتح بن علي البنداري ، تحقيق : عبدالوهاب عزام، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

فريدون بيك، محمد (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م):

- **مجموعة منشئات السلاطين**. القسطنطينية، ١٢٦٤هـ.

ابن أبي الفضائل، المفضل (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- **النهج السديد والدر الفريد فيما يتعلق بعد تاريخ ابن العميد. تحقيق E. Blochet**، باريس، ١٩١٩-١٩٢٩م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م):

- **تاريخ ابن قاضي شهبة**. تحقيق عدنان درويش، ط١، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٩٤م.

القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن الطبعة الأميرية، بلا تاريخ.

القلقشندي، نجم الدين (ت بعد ٨٤٦هـ/١٤٢٢م، وهو ابن صاحب "صبح الأعشى")

- **قلائد الجمان في مصطلح الزمان**. مخطوط المتحف البريطاني رقم (١٠٢٠).

الكاشغري، محمود بن الحسين (ت في النصف الثاني من ق ٥هـ/١١م):

- **ديوان لغات الترك**. دار الخلافة العلية، ١٣٣٣هـ.

- **ديوان لغات الترك**. مكتبة الفاتح، مخطوط رقم (٤١٨٩).

كاهن، كلود:

- **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**. ترجمة: أحمد الشيخ، ط١ سينا للنشر، القاهره، ١٩٩٥م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

- **البداية والنهاية**. ط٢، مكتبة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.

مؤلف مجهول (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي):

- **مائة وثيقة**. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٤٠).

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م):

- **إغاثة الأمة بكشف الغمة**. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٠م.

- **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

- **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**. تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تصحيح محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م):

- **لسان العرب**. دار صادر بيروت، بلا تاريخ.

النعيمي عبدالقادر (ت٩٢٧هـ ١٥٢٠م):

- **الداس في تاريخ المدارس**. تحقيق جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨م.

النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

- **نهاية الأرب في فنون الأدب** . مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، عن طبعة دار الكتب المصرية ، بلا تاريخ.

النويري محمد بن القاسم (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- **الإلمـــام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإســكندرية.** تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م.

هايد، ف:

- **تـــاريخ الـــتجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى.** عربه من الترجمة الفرنسية : أحمد محمد رضا، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٥-١٩٩٤م.

الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):

- **جامع التواريخ (تاريخ المغول).** ترجمة: محمد صادق نشأت ومحمد موســـى هـــنداوي وفؤاد عبدالمعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بلا تاريخ.

اليوسفي: موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر.** تحقيق ودراسة: أحمد حطيط، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية (اللغات الأوروبية)

Al-Droubi, Samir, ***A Critical Edition of and Study on Ibn Fadl Allah's manual of Secretary Ship "Al Tarif Bi'l Mustalah. Al-Sharif"***, (Mu'tah University, 1992)

Amari,***M I diplomi del R Archivio Fiorention***, (Firenze, 1863).

Atiya, A.***S Egypt and Aragon*** (Lepzig, 1938).

Brown, E.G, ***A literary History of Persia*** , Volume III, The Tatar Dominion (1265-1502), (Cambridge,1964).

Cahen, Cl, La ***Chronique de Kirtay et Les Francs de Syrie***, in journal Asiatique, Janvier – Mars 1937.

Clauson, S.G, ***Turkish and Mongolian Studies***, (London, 1962).

Ernst, H, ***Die Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters***, (Wiesbaden, 1960).

Frescobaldi, Gucci and Sigoli, ***Visit To The Holy Places***, (Jerusalem, 1948).

Goitein, S.D, ***A Mediterranean Society*** (Berkeley and Los Angeles (1967-1988).

Harrf, A.V, ***The Pilgrimage of A.V. Harff 1496- 1499***, ed. By M. Letts (London, 1464).

Houtsma, M. Th, ***Ein Turkisch-Arabisches Glossar***, (Leiden,1894) .

Latrie,M , "***Traite des Paix et de Commerce", in Document Diveres***.

ed. H. Plum Imperium (paris, 1865)P P . 72-94.

Levtzion, N, "***Mamluk Egypt and Takrur (West africa)***" in M.

Sharon (ed), Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon (Leiden, 1986),PP 183-207

Maximiliano A. Alarcon Y. Santon Y. Ramon Garcia De Linares, ***Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archivo De La Corona***

De Aragon, (Madrid, 1940).

Risani, N. ***Documenti E. Firmani***, (Gerusalemme, 1931).

Suriano, F.F, ***Treatise on The Holy Land*** (jerusalem, 1949).

Thenaud, De *Jean, Le Voyage D' Outremer*, (Paris, 1884).

Wansbrough. J "***Venice And Florence In The Mamluk Commercial*** **Privileges**" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol,x viii (1965) P.847.

Zajaczkowski, ***Bulgat Al- Mustaq Fi Lugat At-Turk Wa-L-Qifzaq***, (Warszawa,1958).